



الجمهورية التركية

جامعة إسطنبول

معهد العلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية الأساسية

الدراسات الإسلامية (اللغة العربية)

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير

دور المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية لأتراك الأويغور

إعداد

محمد أمين أويغور / Muhammed Emin Uygur

رقم الطالب: 2501171755

الإشراف

البروفسور الدكتور أسامة الحموي

2022 - إسطنبول

ملخص البحث

دور المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية لأتراك الأويغور

محمد أمين أويغور

عندما ندرس الأسباب الكامنة وراء حفاظ أتراك الأويغور على هويتهم الإسلامية رغم البوادر السياسية والأزمات نلاحظ أنهم قد تبنوا المذهب الحنفي لإسلامهم؛ حيث واجهوا مجموعة من المشاكل والصراعات وتصادم الثقافات المتعددة والأديان الأخرى المتناحرة في أزمنة مختلفة، فضلا عن مشاكل الحروب الطاحنة والاستعمار المتقلب في ذلك الموطن، كاجتياح المغول وبعده الصين المانشورية وأخيرا احتلال الصين الشيوعية. رغم هذه البوادر السياسية لقد حافظ أتراك الأويغور على هويتهم الإسلامية وأحيوها في حياتهم الاجتماعية إلى حد كبير، دون ذوبان وميوعة في الأغلبية. كما حدث هذا في بعض المجتمعات المتعرضة للاحتلال.

فمن هذا المنطلق ستكون دراستنا في تناول دور المذهب الحنفي من الدواعي الرئيسية والهامة في الحفاظ على إسلامية ذلك المجتمع وهويته الإسلامية لأتراك الأويغور. ومن ثم ندرس مدى جهود علماء الأحناف وتمتعهم وتعمقهم في استنباط الأحكام الشرعية في النوازل وحذقهم وتمسكهم بأصول المذهب، مراعين قاعدة التيسير والتسهيل، ومعتدين على روح مقاصد الشارع الحكيم بالتشريع. وقد يلوح هذه الميزة في فترات اشتدت بها الفتن وكثرت النوازل، وصعب فيها حل المشاكل الاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: المذهب الحنفي، الهوية الإسلامية، أتراك الأويغور، تركستان الشرقية، الصين.

ÖZ

UYGUR TÜRKLERİNİN İSLAMİ KİMLİĞİNİ KORUMADA HANEFİ MEZHEBİNİN ROLÜ

Muhammed Emin Uygur

Uygur Türklerinin birçok siyasi olay ve krizlere rağmen İslami kimliklerini korumalarının nedenleri incelediğinde Hanefi mezhebini benimsedikleri görülmektedir. Doğu Türkistan farklı kültür ve diğer dinlerin çatışmasının yanı sıra Moğolların ve ardından Mançu-Çin'inin işgali gibi bir dizi sorun ve çatışma, ezici savaş ve değişik sömürgecilik sorunlarıyla karşı karşıya kaldığı yerdir. Son olarak 1949'dan bu yana komünist Çin'in işgali altında bulunmaktadır. Söz konusu siyasi baskı ve işgallere rağmen Uygur Türklerinin büyük çoğunluğu erime ve asimile olmadan İslami kimliklerini büyük ölçüde korumuş ve sosyal hayatlarında etkinliğini yansıtmıştır. Ancak işgal altındaki bazı toplumların baskıcı güçlerin eritme ve asimile etme politikalarına dayanamadığı bilinir.

Bu noktadan hareketle çalışmada, Uygur Türklerinin islami bilinci ve islami kimliğini muhaza etmede Hanefi mezhebinin oynadığı önemli rolleri ele alınacaktır. Ardından Doğu Türkistan'da yetişen ulemaların "Şer'i hükümlerde" ve "icthat" meselelerinde Hanefi mezhebinin usullerine ve islamda kolaylaştırma ve asayiş sağlama ilkelerine dayanarak, hikmet sahibi Allah'ın Şeriatı tesis etmedeki maksadı ve ruhuna uygun olarak ne kadar derin ve kapsamlı çalışmalar yürüttüğünden bahsetmeye çalışacaktır. Bu çalışmaların çekişmelerin yoğunlaştığı, felaketlerin arttığı ve toplumsal sorunları çözmenin zor olduğu dönemlerde daha da belirginleştiği görülmektedir.

Anahtar Kelimeler: Hanefi Mezhebi, İslami kimlik, Uygur Türkleri, Doğu Türkistan, Çin.

فهارس الموضوع

ii.....	ملخص البحث
iii	ÖZ
vii	الاختصارات

المقدمة

viii	
------------	--

الفصل الأول

تعريف عام بمفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية ثم المذهب الحنفي

1	
2.....	المبحث الأول: تعريف مفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية
4.....	المطلب الأول: مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً ومناقشتها
4.....	أولاً: مفهوم الهوية في اللغة
4.....	ثانياً: مفهوم الهوية في الاصطلاح
5.....	ثالثاً: عناصر الهوية الثقافية أو الدينية
8.....	رابعاً: الهوية الإسلامية للشعب التركستاني والأويغور
9.....	المطلب الثاني: تعريف أتراك الأويغور وتركستان الشرقية
9.....	أولاً: تعريف تركستان الشرقية
10	ثانياً: تعريف الأويغور وتركستان وجذور الكلمة تاريخياً
11	ثالثاً: مناقشة استعمال "الأويغور" كاسم للجغرافيا التركستانية
12	رابعاً: علاقة اسم تركستان بآسيا الوسطى
15	المطلب الثالث: تحديات الهوية الإسلامية في المجتمع التركستاني
18	المبحث الثاني: المذهب الحنفي ومراحل توسعه وانتشاره
19	المطلب الأول: تعريف المذهب الحنفي وتشكله وانتشاره
19	المطلب الثاني: تعريف المذهب الحنفي مركباً في اللغة والاصطلاح
21	المطلب الثالث: تأسيس الإمام أبي حنيفة للمذهب الحنفي ومراحل

المطلب الرابع: انتشار المذهب الحنفي في العالم الإسلامي 25

الفصل الثاني

مراحل أسلمة شعب تركستان الشرقية والمذهب الحنفي في الحقب التاريخية له

..... 27

المبحث الأول: مراحل أسلمة شعب تركستان الشرقية والعوامل السياسية فيها 28

المطلب الأول: مرحلة تعارف الشعب التركستاني مع الفتح الإسلامي كأفراد 29

المطلب الثاني: مرحلة أسلمة الدولة القاراخانية 32

المطلب الثالث: مرحلة إتمام أسلمة الأويغور بالكامل في العهد المغولي وما بعده: 34

المطلب الرابع: المذهب الحنفي وعوامل قبول أتراك الأويغور الإسلام 36

أولا: العوامل وأسباب التأخر في أسلمة الشعب التركستاني من الجانب الإسلامي 36

ثانيا: العوامل الخارجية في أسلمة الشعب التركستاني 40

المبحث الثاني: دور المذهب الحنفي في الحقب التاريخية لتركستان الشرقية 43

المطلب الأول: دور المذهب الحنفي في عهد الدولة القاراخانية 43

المطلب الثاني: دور المذهب الحنفي في عهد الجغتائيين والتموريين 47

المطلب الثالث: المذهب الحنفي من عهد الدولة السعيدية إلى الاحتلال الصيني 50

الفصل الثالث

دور المذهب الحنفي في حفظ هوية أتراك الأويغور الإسلامية في الحاضر

..... 56

تمهيد: 57

المبحث الأول: دور المذهب الحنفي في حفظ التماسك الاجتماعي الإسلامي 59

المطلب الأول: دور المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية كمظهر 59

أولا: عناصر الهوية لتركستان الشرقية: 61

ثانيا: الهوية الإسلامية لشعب تركستان الشرقية: 63

ثالثا: تأثير الصين في لغات شعوب تركستان الشرقية 64

رابعا: المذهب الحنفي ضد تأثير الشيوعية في الدين الإسلامي (تدخلها): 65

خامسا: تأثير الصين في مظاهر اللباس والفنون الثقافية الأهلية في تركستان الشرقية 66

المطلب الثاني: دور المذهب الحنفي ضد تشويه الصين للهوية الإسلامية لمسلمي الأويغور في مجتمع التركستاني 67

1: سياسة إذلال العلماء الشرعيين..... 68

2: الخسائر الظاهرية تخص لمظاهر المساجد..... 72

3: خسائر الأنشطة والطقوس الدينية..... 73

4: واقع المدارس والمعاهد الدينية في الإقليم..... 73

المطلب الثالث: دور المذهب الحنفي في كفاح الأويغور للإلحاد والأيدولوجيات الشيوعية وبعض الفرق المنحرفة

..... 75

المبحث الثاني: سياسة السلطات الصينية نحو المذهب الحنفي في تركستان الشرقية..... 81

المطلب الأول: استغلال الصين لمكانة المذهب في ضبط المجتمع التركستاني..... 81

المطلب الثاني: سياسة تجهيل الشعب التركستاني بتعصب وتحريف المذهب الحنفي..... 84

1: التعاليم الدينية في تركستان الشرقية..... 85

1. حالة التعليم في المدارس الشرعية:..... 87

2. حالة التعليم في المدارس الحكومية والجامعات في تركستان الشرقية..... 89

3: سياسة التعليم في تركستان الشرقية للسلطات الصينية..... 91

المطلب الثالث: تهميش المذهب الحنفي والعلماء في الحياة الاجتماعية..... 91

المبحث الثالث: أهمية المذهب الحنفي ودوره في حفظ الهوية الإسلامية..... 93

المطلب الأول: مزايا المذهب الحنفي بين الشعب التركستاني..... 94

المطلب الثاني: ضرورة تفعيل دور المذهب الحنفي في المجتمع التركستاني..... 95

المطلب الثالث: اقتراحات في إحياء دور المذهب الحنفي..... 99

الخاتمة

..... 101

أولاً: النتائج التي وصلت الدراسة إليها..... 101

ثانياً: التوصيات..... 103

قائمة المصادر والمراجع

..... 104

الاختصارات

ط: طبعة

ص: صفحة

ج: جلد أو مجلد

ت: تُوفي / تحقيق

خ: مخطوط

د ط: بدون طبعة

هـ: هجري

م: ميلادي

إ ش أو ذ ح: إقليم شينجانغ الأويغور ذاتية الحكم

الاختصار باللغة التركية:

TDV: وقف شؤون الديانة التركية

DİA: موسوعة الإسلام لشؤون الديانة

S: صفحة / العدد

دور المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية لأتراك الأويغور

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحابه ومن اتبع هداه، أما بعد:

كما أن لكل مجموعة من عناصر الأمة الإسلامية تاريخ خاص سجلته في تطوير الحضارة الإسلامية وقيم ثقافية حافظوا عليها جيلاً بعد جيل. وقد تميزت هذه القيم والثقافات المجموعة عن غيرها، وتحافظ على وجودها القومي ووعيها المجتمعي لديها؛ فبهذا المعنى يأتي الشعب التركستاني في مقدمة الحضارة التركية الإسلامية وتكريس القيم الخالدة للأتراك عموماً بمبادرتهم لقبول الإسلام.

وكما قد ترك أتراك الأويغور بصمة لامعة في سجلات الحضارة التركية والإسلامية إنهم أثروا تاريخهم وحضارتهم وثقافتهم بعاداتهم المحمودة وتقاليدهم المقبولة لدى الأمة الإسلامية، وحصنوا معتقداتهم الدينية بعناية فائقة بالعلوم الشرعية بعد قبولهم الإسلام؛ فمن ضمن ذلك تبنيهم المذهب الحنفي لإسلامهم واستفادتهم بدوره الفاعل في شتى ظروفهم الاجتماعية منذ أن تعرفوا عليه إلى اليوم.

أتراك الأويغور هم من أهم العناصر التركية التي قدمت للإنسانية ثُخفاً حضارية تلمع التاريخ، ولعبوا دوراً عظيماً في تقدّم الأتراك في السياسة والديانة وتطوير موقعهم الجغرافي بالعلم والحضارة. وكما أسهموا في رواج طريق الحرير التجاري العريق الذي وصل الشرق بالغرب بلقاح الثقافات المختلفة بالإسلام من جانب روحي، ثم مهد السوق المادي الاقتصادي لتلقي قوافل الفرس والعرب والهان الصينيين بمحطاتهم الوسط؛ حيث كانوا يتوسطون بينهم في تبادل التجارة والحضارة والدين والثقافة بين أمم آسيا بشكل عام. وربما هذا من أهم الأسرار في اشتهارهم بأنهم أعظم القبائل التركية وتقدمهم في التمدّن والتحضير والتعرف على الثقافات الأخرى على مدى تاريخ الأتراك عموماً.

كما أنهم وضعوا حجر الأساس لقبول الإسلام في التاريخ التركي، بحيث أنهم يعدون كأول المبادرين إلى الإسلام كمجموعة ودولة لدى الأتراك، وجاهدوا في سبيل الدعوة الإسلامية تحت لواء الدولة القاراخانية/الخاقانية الإسلامية قرابة أربعة قرون من الزمن، ثم ثباتهم في الإسلام ما بعد اجتياح المغول وطنهم تركستان الشرقية في أوائل القرن الثالث عشر. وبعدها اختل توازن النظام والحكم، تعرضوا لتدمير عمرائهم ونشوب الحروب الطاحنة للقوى الكبرى في بلادهم عسكرياً وفكرياً، ووقوع الإبادة الجماعية والاضطهاد المستمر وتصفية نخبتهم واضطرارهم للهجرة، وظهور بعض الفرق المنحرفة وتسييسها في سياسة الشعب المسلم من قبل المستعمرين كبعض الصوفية وغيرها.

ومع ذلك كله هم محافظون على ثوابت الإسلام وروابطه الاجتماعية فيما بينهم على مر العصور، أوفياء لأصوله الحضارية ومحافظين على أسسه المتينة ومعاقده الاجتهادية في النوازل منذ أن حُطُّوا بالإسلام؛ فمن ضمن تلك الروابط المذهب الحنفي الذي بدأ انقراض بعض خصائصها ومميزاتها شيئاً فشيئاً، وذلك بعد الزحف الأحمر من شيوعية الروس والصين وإثر تزايد الحملات المعادية والحروب الفكرية نحو الإسلام ومعالمه، لتكريس شيوعيتهم وبقائهم على كرسي القهر والظلم.

وقد أعتيهم بؤادر سياسية قاسية متعددة من قبل الصين المحتلة بلادهم منذ القرنين الأخيرين أكثر من بقية المجتمعات الإسلامية، وبقوا بين سندات الحروب الطاحنة الساخنة من جهة، والحروب الفكرية والأيدولوجية المسمومة من جهة أخرى، كتكريس الشيوعية الهدامة للإسلام الترعليم والإعلام. ومعلوم أن القوى الاحتلالية الروسية والصينية لم تألو جهداً في القضاء على الهوية الإسلامية من تركستان عامة، ومن إقليم تركستان الشرقية المغتصبة خاصة، لكي تتحقق أحلامهم الشيوعية والشمولية الاشتراكية؛ وهذه الدراسة جاءت لتحديد دور المذهب الحنفي في محافظة أترك الأويغور قيمهم الإسلامية بين هذه العمليات التاريخية المؤلمة، وعلى صمودهم دون ذوبان. كما تسعى إلى إبراز أسرار المذهب الحنفي في توثيق الروابط الاجتماعية بين أبناء الشعب، ورؤيته الأبعد في تحليل النوازل والمستجدات الفقهية التي لم تشهدها سائر البلدان الإسلامية، ومكانته بين عناصر الهوية والقيم الثقافية والدينية العقدية لديهم على مواجهة الضغوط السياسية ومحاولة طمس الهوية الإسلامية.

كما أنّ الفصل الأول من هذا البحث سيتناول تعريف المذهب الحنفي وأدواره التاريخية، وأتراك الأويغور وموطنهم تركستان الشرقية، وفترات قبولهم الإسلام وأسبابها أفراداً أو كمجموعة ودولة، بالإضافة إلى مكانة المذهب الحنفي لتركستان الشرقية ومسلمي الأويغور في الحقب التاريخية، وعلماء المذهب الذين أنجبهم هذا البلد من عهد الدولة القاراخانية إلى اليوم، وأبرز الكتب التي قدموها إلى العالم الإسلامي أو اعتمد عليها أبناء ذلك الموطن. ثم يأتي الفصل الثاني بتحليل أدوار المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية لأتراك الأويغور التي غابت في كثير من البلدان المستعمرة، إثر أزمات سياسية وحروب فكرية نحو الإسلام. كما سيسلط الضوء على دوره الفعال الذي لعبه وسيلعبه في مواجهة سياسة طمس الهوية الإسلامية والثقافية والحضارية من قبل الصين الشيوعية. ثم تأتي الخاتمة بخلاصة أهم النتائج التي وصلت إليها الدراسة وإليها وبعض توصيات الباحث التي أحسها من خلال الدراسة حول أهمية المذهب الحنفي ودوره في حاضر أتراك الأويغور ومستقبلهم.

أهمية البحث:

شعوري بأهمية هذا الموضوع دفعني إلى إعداد بحث لدراسة مكانة المذهب الحنفي ودوره في حفظ هوية أتراك الأويغور الإسلامية، وإلى معالجة اختلال الروابط الجامعة لحياتهم الدينية التي هي أصل القوة الروحية لديهم، لكي يمكن توجيه هذه القوة بشكل صحيح إلى أبناء المستقبل القادم.

ويمكنني أن أحدد أهمية هذا البحث من جانبين رئيسيين:

أولاً: الأهمية العلمية

1. تعريف الهوية الإسلامية وضبطها كمفهوم ومصطلح ومناقشة عناصرها ثم تطبيقها على واقع أتراك الأويغور.

2. عرض تاريخ المذهب الحنفي وإسهام شعوب تركستان الشرقية في إحياء سلسلته، تسمى حالياً بـ "إقليم شينجيانغ الأويغور الحكم الذاتي" قبل الصين الشيوعية كأمر واقع.

3. إثراء المكتبة الإسلامية بما يتعلق بأهمية الهوية الإسلامية، وقضية مسلمي الأويغور الأتراك فيها بالخصوص؛ لأنه قلّ من يهتم بدراسة هؤلاء المسلمين المهمشين بالإعلام الصيني ونفاق الأنظمة السياسية والحاكمة في العالم العربي والإسلامي للسياسة الصينية.
4. إن البحث يحاول الربط بين الفقه وتاريخه وبين علم الاجتماع والسياسة نوعاً ما، ويُسلّط الضوء على التنشئة الفكرية في تناول قضايا الأمة بثوب جديد. وبهذا ربما يُعَدُّ البحث فريداً في نوعه. وهذا ما أعتقده. والله تعالى أعلم.

ثانياً: الأهمية العملية

1. يسعى البحث إلى التقريب بين علماء الإسلام وطلبة العلوم الشرعية بالنشطاء السياسيين والمتقنين، والعكس كذلك، وإلى العمل على إزالة العوائق بين الطرفين في تناول ومناقشة موضوع الهوية لأتراك الأويغور لنيل الغاية المشتركة بينهما، وهذا البحث الأكاديمي قد يلعب دوراً مهماً في هذا المجال.
2. إفادة المهتمين بأهمية دراسة سياسة الصين الدينية تجاه أتراك الأويغور وما استجد بهم من النوازل الفقهية والسياسية التي تندر أمثالها عند غيرهم، وخاصة سياسة الصين القريبة.
3. إفادة المسلمين بأن الفقه الإسلامي أشمل وأوسع مما تحصره الكتب التراثية، وهو يتجدد ويتوسع إلى أن يحيط بأحوال المسلمين وأزماتهم وفي حفظ دينهم وهويتهم.
4. يجمع هذا البحث الأدبيات الدراسية باللغة العربية والتركية وأحياناً باللغة الأم الأويغورية. وربما هذا يعطي القارئ والدارسين التنوع التوثيقي والأمانة العلمية.
- كما أعتقد أن هذه هي الدراسة الأولى في تركيا التي أجريت في هذا الصدد، أقصد "دور المذهب الحنفي ومكانته بين عناصر الهوية"، وهذا أيضاً يظهر أهمية البحث وقيّمته العلمية. كون الباحث واحد من أتراك الأويغور، الذي يعرف الموضوع وما تحتوي دراسته عنه أعتقد أن له ميزة وأهمية أخرى.

إشكاليات الدراسة:

تسعى الدراسة إلى الإجابة على السؤال الرئيس التالي: هل ثمة دواعٍ لإعادة التعريف للهوية الإسلامية والنذهب الحنفي وتركستان الشرقية وأترك الأويغور؟ ثم ما فائدة الربط بين الهوية الإسلامية والمذهب الحنفي لأترك الأيغور؟ وكيف نربط المذهب الحنفي بهوية أترك الأويغور؟ وما أدوار المذهب الحنفي عند مسلمي الأويغور في التصدي للتشويه الصيني للهوية الإسلامية في تركستان الشرقية؟.

التساؤلات الفرعية للدراسة:

الدراسة تسعى للإجابة على الأسئلة التالية:

1. ما هو تعريف الهوية الإسلامية؟ وما هو المذهب الحنفي وكيف كان تشكّله؟ ومن هم مسلمو الأويغور وكيف تمت أسلمتهم؟ أين تركستان الشرقية وما هي صلاحيتها عبر التاريخ؟
2. ما مدى حاجة عامة المسلمين لمعرفة أدوار المذهب الحنفي التي لعبها عبر التاريخ في تركستان الشرقية؟
3. إلى أين وصلت هوية مسلمي أترك الأيغور الإسلامية؟ وما هي مكانة المذهب الحنفي منه؟
4. ما هي التحديات للمذهب الحنفي في الواقع الحالي؟ وما هي الأدوار التي يتم بها تفعيل دور المذهب الحنفي اجتماعياً وسياسياً في حفظ هويتهم من تحديات التذويب والطمس أو الاندماج ثقافياً وسياسياً؟

الدراسات السابقة

أثناء استقراي حول الموضوع، وجدت الجهود العديدة من الدراسات العلمية والاهتمامات المتعددة فيه، كتاريخ تركستان الشرقية أو الثقافات الصاعدة فيه والعادات والتقاليد والبنية الاجتماعية، أو من ناحية اللغة والأدب والفولكلور (اللهجات) لأترك الأويغور؛ فهناك من درس خصوصيات وأهمية اللهجات أو اللغة المستخدمة سابقاً، أو كمجرد تأريخ قومي لا يعدو لأهمية الرابطة الدينية -منها المذهب الحنفي- في حفاظهم على هذه الهوية القوية. وذلك ربما بعدم الإمكانية لها سياسياً في تركستان

الشرقية؛ فبعد القراءة في الموضوع بادرتُ بدراسة أهمية الإسلام وخاصة المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية لمسلمي الأويغور، ومكانته في حياتهم الاجتماعية، وهذا الموضوع لم يدرسه أحد بحقه من منظور شرعي وتاريخي، فقامت بهذه المهمة لأتناول دور المذهب الحنفي في الحفاظ على هوية أتراك الأويغور الدينية ومكانته في بنية وجودهم القومي والثقافي. ومن تلکم الدراسات:

1. "الاعتقادات الدينية لأتراك الأويغور" رسالة الماجستير للباحثة الأويغورية، جامعة أنقرة (2006). درست الباحثة فيها عن المعلومات العامة عن أتراك الأويغور؛ أي أصولهم وتاريخهم وموطنهم الذي عاشوا فيه، وعن عقائدهم قبل الإسلام، أي المعلومات العامة عن الاعتقادات التركية؛ الزردشتية والبوذية والمانية والنصطورية الصليبية. ومع هذا بحثت عن الوقائع المهمة التي وقعت بعد الإسلام والفعاليات الماسونية والسياسيات الدينية من سلطات الصين تجاههم، ربما يمكن الاستفادة منه عند تحليل الأوضاع في القرنين الأخيرين.

2. مقال "التعاليم الإسلامية ورجال الدين في عهد الدولة القاراخانية" للباحث نور الدين عين الدين، وفيه تناول الباحث الأيام الأوائل التي قبل أتراك الأويغور الإسلام فيها في رقعة جغرافية الدولة القاراخانية، وذكر فيه أيضا بعض رجال الدين والمدارس الدينية التي أسست في المناطق التي يسكنها أتراك الأويغور في أيامنا هذه.

3. مقال "القاراخانيون وإسهاماتهم في نشر الإسلام" للباحث الدكتور علي بن صالح المحيّم، بترجمة علي آقسو من اللغة العربية إلى اللغة التركية، درس الباحث في بحثه هذا عن أصول القاراخانيين ودخولهم في الإسلام والأوضاع السياسية المختلفة بهم في الداخل والخارج، والتعاليم الإسلامية حينئذٍ. وكذلك عن الأشخاص البارزين وعلاقتهم مع العباسيين وغيرها، وهذا البحث قيم ومفيد في هذا الموضوع يمكن الاستفادة منه في المقدمة والفصل الأول.

4. رسالة الدكتوراه "الجهود الفقهية في عهد القاراخانيين" للأستاذ ضياء يوسف كاواكجي؛ حيث إن الرسالة تناولت بعض الجوانب التاريخية والبليوغرافية للشخصيات الأحناف، وهنا حاجة ماسة لسد فراغ ما فاتته من وصف وتحليل ومقارنة بين النتائج العلمية في الموضوع. إضافة إلى ذلك إن لغة الدراسة باللغة التركية يتعذر للباحثين العرب استفادتها

موضوع البحث

تتناول هذه الدراسة الهيكل الفقهي الديني للأتراك الأويغور بعد أن تبناوا الإسلام، وفي هذا السياق؛ تذكر مراحل المذهب الحنفي التي مر بها في مختلف العصور، ومدى أهميته ومكانته من مواقف القوى السياسية الحاكمة المختلفة أو العدوانية تجاهه؛ حيث يكون موضوع الدراسة؛ دور المذهب الحنفي في كل من الحقب التاريخية والمتغيرة للأتراك الأويغور في الماضي، وذلك لإبراز مكانته في بنية الهوية الدينية والثقافية، ودوره في حفظها إسلاميةً ثابتة لتلك الجغرافيا في الوقت الحاضر.

أهداف البحث

كما هو معلوم من عنوان البحث هو دور المذهب الحنفي في حماية هوية أترك الأويغور الإسلامية وأثره فيها؛ كان الهدف من الرسالة هو:

1. تحديد مكانة المذهب الحنفي ودوره في حفظ الهيكل الديني والثقافي في تركستان الشرقية واستمرار وجود أترك الأويغور، مناسبةً لما هو في العنوان.
2. تحديد الآليات والكيفيات التي تمسك بها أترك الأويغور في حفظ وجودهم الإسلامي وقيمهم الدينية في هذه العملية التاريخية للإسلام، من خلال السرد التاريخي للمذهب الحنفي، واستعراض بعض الشخصيات المهمة من علماء الأحناف والكتب الحنفية التي أنجبتها تركستان الشرقية.
3. تحليل المشاكل والمخاطر الاجتماعية والسياسية التي تعرض لها أترك الأويغور، ومعالجتها علمياً من خلال إبراز دور المذهب الحنفي في تماسك المجتمع الإسلامي هناك أمام سياسة التذويب وتغيير الديموغرافية، أو سياسة ما سمته السلطات الصينية الشيوعية "سياسة تصيين الإسلام" بنسخة صينية جديدة.

4. الكشف عن أهم مشاكل الأمة الإسلامية اليوم؛ الدعاوى باللاتمذهب وتداعيات بعض المنحرفين لشباب الأمة، خاصةً شباب الأقليات المسلمة الذين يتأثرون بتلك الأفكار الجدد المنحرفة، مثل المتسلفين المتطرفين ومدعي الاكتفاء بالقرآن فقط (منكري الأحاديث النبوية أو المشككين فيها) وغيرها.

منهجية البحث:

تعتمد هذه الدراسة على أنواع الدراسات، كالمنهج التاريخي والوصفي والتحليلي، وتعتمد بشكل أساسي على منهج التوصيف والتأريخ لمحاوَر الموضوع مقارنةً مع دراسة الحالة للواقع التركستاني، وهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العملية والعلمية المختلفة، فهو المنهج الأليق والأنسب في هذا المقام، مع الالتزام بالخطوات التالية:

1. دراسة تاريخ الإسلام في تركستان الشرقية وأتراك الأويغور ودور المذهب الحنفي وطابعه حينذاك، وملاحظة خصائصه الفريدة لكل فترة زمنية، والشخصيات المهمة والكتب المعتمدة التي دُرست في المدارس والمكاتب.

2. دراسة مكانة المذهب الحنفي الذي لعب دوراً عظيماً في كفاح العدوان الخارجي ودفع الظلم الذي وجد في الحياة الثقافية الاجتماعية لأتراك الأويغور في الماضي والحاضر والمستقبل.

فرضيات البحث

لا شك أن في تمسك التركستانيين بالمذهب الحنفي يعتبر كواحد من أهم العوامل في الحفاظ على بقاء أتراك الأويغور أمام الحملات الاستيعابية للهوية الإسلامية، وذلك من خلال الحركات الفكرية المعادية للإسلام. وهذا بالنسبة لغيرهم الذين حضروا على المشهد التاريخي فترة ثم اندثروا بحيث لم يبق لهم وجود ولا أثر في ظل المتغيرات والتقلبات التاريخية والسياسية؛ إذ أن أتراك الأويغور ظلوا يتمسكون

بالمذهب الحنفي كنظام حياة اجتماعي لهم في اتخاذ التدابير المعيشية وجميع شؤونهم اليومية، سواء حينما استظلتهم دولتهم الإسلامية "سلالة القاراخانيين"، أو سقطوا تحت الاحتلال المتقلب عبر التاريخ. وهناك متداخل بين المذهب الحنفي وبين إسلام أتراك الأويغور في تشكل خصائصهم الثقافية والعادات الاجتماعية والعرف والتقاليد جلها بأزياء حنفية؛ حيث نستطيع أن نقول إن هذا الميزة واحدة حافظت على وحدتهم وهويتهم الإسلامية.

كما أن المذهب الحنفي يتميز بمراعاة الظروف لحل الصعوبات الفقهية، وهذه التي تبرز ذكاء العلماء الأحناف في الاجتهاد والاستنباط من النصوص الشرعية والتعامل معها في النوازل المستجدة وقتاواهم السياسية، معتمدين على أصول المذهب والممعنين النظر في واقع أتراك الأويغور في ظروف مختلفة عبر القرون؛ بحيث لا تتصادم تلك الفتاوى مع الكتاب والسنة.

مجال البحث:

ستكون مجالات هذا البحث في تعريف المصطلحات البحثية ومفاهيمه والتقييم بشكل عام حول مبادرة قبول أتراك الأويغور الإسلام، وتبنيهم المذهب الحنفي بعد قبولهم الإسلام، وتأريخ موجز للمذهب الحنفي عندهم، وتعريف الأشخاص الذين لعبوا دوراً في بناء المذهب الحنفي ونشره ، وكذلك أهم الآثار العلمية التي كتبت أثناء هذا التاريخ، وإسهامات هذه الكتب في العالم الإسلامي ، والتحليلات في ضوء السياسة الشرعية حول دور المذهب الحنفي في إحياء الهوية الإسلامية، ودوره الذي يمكن تفعيله للدفاع عن مخاطر متروكة من السياسات الصينية في طمس الإسلام وتذويب المسلمين في الإقليم.

حدود البحث:

1. الحدود الموضوعية:

تقتصر الدراسة على تناول دور المذهب الحنفي في حياة أتراك الأويغور، وأهميته في الحفاظ على الهوية الإسلامية والتصدي للتشويه الصيني لها؛ من حيث إنه من العوامل السياسية والاجتماعية في وجودهم. وذلك يتم من خلال سرد تاريخه وعرض مصادره وتحليل حاضره ومستقبله بجانب السياسة الشرعية. ولا يتناول البحث المذاهب الأخرى ومقارنتها بالمذهب الحنفي.

2. الحدود المكانية والزمنية:

تقتصر الدراسة تحديداً على التركيز في إقليم "تركستان الشرقية" الذي يسمى حالياً بـ "إقليم شينجيانغ الأويغور المتمتع بالحكم الذاتي" الذي أقتصر كتابته أثناء البحث بـ (إش أو ح ذ). وكان يعد سابقاً جزءاً من "ما وراء النهر" أو "تركستان" الذي عُرف بـ "آسيا الوسطى" منذ القرنين الأخيرين. كذلك فروع الفقه الحنفية واجتهاداته قد تختلف بين متمسكي المذهب الحنفي حسب الانتشار الإقليمي، وإن اتحدوا في أصوله وأسسهِ. وأما حدود زمن الدراسة قد يتسع من القرن الثاني الهجري إلى يومنا هذا من حيث التأريخ لنشأة المذهب وتسلسله إلى يومنا هذا موجزاً.

الفصل الأول

تعريف عام بمفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية ثم المذهب

الحنفي

يحتوى هذا الفصل تعريفاً عاماً بمفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية ثم المذهب الحنفي، بتناول دوره في قبول أهل تركستان الإسلام، ومكانته في سياسة السلطة المتعددة والمسلمين في الحقب التاريخية لهم، وذلك في ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الأول: مفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية

المطلب الأول: مفهوم الهوية الإسلامية لغة واصطلاحاً

المطلب الثاني: تعريف الأتراك الأويغور وتركستان الشرقية

المطلب الثالث: تحديات الهوية الإسلامية في المجتمع التركستاني

المبحث الثاني: المذهب الحنفي وإسلام أتراك الأيغور

المطلب الأول: تعريف المذهب الحنفي ومراحل انتشاره

المطلب الثاني: مراحل أسلمة تركستان تركستان الشرقية والأويغور

المطلب الثالث: دواعي وأسباب قبول الأتراك الأويغور الإسلام كعقيدة ومذهب فقهي

المبحث الثالث: دور المذهب الحنفي في الحقب التاريخية لتركستان الشرقية

المطلب الأول: دور المذهب الحنفي في عهد الدولة القاراخانية

المطلب الثاني: دور المذهب الحنفي في عهد الجغتائيين والتموريين

المطلب الثالث: المذهب الحنفي من عهد الدولة السعيدية إلى الاحتلال الصيني

المبحث الأول

تعريف مفهوم الهوية الإسلامية وأتراك الأويغور وتركستان الشرقية

تمهيد:

عندما ننظر في موضوع الهوية الإسلامية بمعناها الشرعي - وليس الفلسفي - قد نجد مشاحة عريضة عند تناولها كمفهوم ومصطلح، بين الواقع وبين مضامين مصادر الإسلام التراثية والحديثة، وحتى لا يكاد يتقارب بأسباب التداخلات السياسية وميوعة النخب العقلية في المجتمع الإسلامي إلى تفرقة الناس بأقل فارق إما في لهجة أو عرق أو غيره بشكل إجمالي؛ حيث إن الإسلام ملة واحدة مهما كان اللون والعرق والنسبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على أبيض إلا بالتقوى).¹ لا تعترف تلك المفاهيم القومية والعرقية، في الإسلام، لأنه يؤدي إلى تقسيم الناس إلى طبقات ودرجات. وهي مصطلحات ومفاهيم استوردت من الغرب الصاعدة اليوم.

كما بلغ صراع الهوية وقضاياها في العالم الإسلامي -منها تركستان الشرقية- ذروته بتربع تلك المفاهيم الغربية والمصطلحات كالدولة والقومية والجنسية والمواطنة والأقليات المسلمة وغيرها، وأنشأت تكتلات سياسية متناحرة في جسد الأمة، وجاءت منها الطبقات الاجتماعية والقومية في داخل المجتمعات الإسلامية تقليداً بثورة المعرفة في الغرب. وبهذا الصدد شهدت تركستان الشرقية في القرنين الأخيرين عدة أزمات في موضوع هويتها، السياسية والدينية والثقافية، وكانت أكثرها تضرراً بالنسبة إلى بقية البلدان الإسلامية. وبغليان هذا الصراع فيها ظهرت الدهشة بإعلان الصين الإسلام كأيدولوجية معادية للمبادئ الشيوعية، ومحاربتها علناً المعالم الدينية وروابطها والثقافات والتقاليد وحتى العادات لمسلمي تركستان الشرقية، خاصة في العقد الماضي حتى الآن.

كما هو من المعلوم أن مبادئ الشيوعية الشمولية تُعدّ من أشدّ الخصوم على قيم الإسلام بمجملها، وتعدّ أقصى خطورة على بعضها البعض، فالشيوعية الصينية قد شرعت بخنكة ساحرة لإبادة الهوية

¹ صحيح مسلم المساجد ومواضع الصلاة (673)، سنن الترمذي الصلاة (235)، سنن النسائي الإمامة (780)، سنن أبو داود الصلاة (582)، سنن ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (980)، مسند أحمد بن حنبل (121/4).

الإسلامية في تركستان الشرقية، لمخافة أنها سوف تجمع كافة المسلمين وراء الشعب التركستاني، بنواة هذه الهوية يوماً ما. ومن هنا قد ندرك غاية الخطورة من أول شعار هتفه كارل ماركس (1818-1883)² الأب الروحي بالنسبة للشيوعيين "الدين أفيون الشعوب". والتي عانت الشعوب من شظاياها في الكثير من الدول الإسلامية وخلصت، ومازال يعاني ملايين الناس من جرائم هذه الأزمة الفكرية والسياسية (الشيوعية).

فشعوب آسيا الوسطى من أكثر الضحايا لهذا السرطان الفكري والسياسي، وشعوب تركستان الشرقية بالخصوص بعد تسلط واحتلال الحزب الشيوعي الصيني عليهم إيديولوجيا وسلطويا. فشعب تركستان الشرقية ظلّ يكافح ويدافع عن إسلامه وهويته بالحفاظ على هذه الخصوصيات التي تتمثل بالمذهب الحنفي كقالب الحياة والمعيشة. وهي التي تمثل أيضاً لوجودهم واستمراريتهم في هذا الوطن حالياً دون ذوبان في اللادينية الصينية (الإلحاد)؛ لذلك أصرت الصين -بقيادة الحزب الشيوعي في محور الهوية الإسلامية وثقافات القوميات في تركستان الشرقية، وركزت كل جهدها في تذويب شعبه في وحدة القوم الهان الصيني. فسياسة تصنيف الإسلام (صياغة الإسلام وفق المبادئ الشيوعية والنظم الاشتراكية) واحدة من سياسات محور إبادة تطبقها على هذه الشعوب المسلمة المتغلبة عليها.

وإن كان موضوع هذا البحث في دراسة المذهب الحنفي وتاريخه ودوره في تركستان الشرقية؛ قد تأتي الحاجة هنا إلى إبراز أهمية هذا المذهب ودوره الكبير، بعرض سياسة التذويب وطمس الهويات الأهلية من قبل الصين الشيوعية التي قامت بتنفيذها على مدى سبعين عاماً (1949). دعوة علماء وساسة الأمة الإسلامية إلى ظواهر واقعية في تاريخ هذا الشعب، ومدى أهمية المذهب الحنفي في صمود الشعب التركستاني أمام الصين الشيوعية، وللفت أنظارهم إلى التركيز في دور علماء الأحناف بحفظ ثقافتهم ولغاتهم أمام تحديات هجوم وسياسات الصين الشرسة نحوها؛ حيث يقول المثل الصيني: "من لم يكن من قبيلتي فهو عدوي، فيجب أن يباد (يستأصل) أو أن يذاب"،³ أو الكلام المتداول بين الساسة الصينيين: "التمايز هو العدوان المهدّد"، وغيره الذي يبرز حقيقة أن الصينيين -الصين الشيوعية خاصة- لا يعرفون التعايش السلمي بالحقيقة، ومن ثم يقومون بهذه العمليات التي نفذت على الشعب بالجانب الثقافي والفكري والسياسي، والتي تمثل بها سياسة الصين "تصنيف الإسلام" تعني صياغة الإسلام

² فيلسوف ألماني، وناقد للاقتصاد وسياسي ومؤرخ وعالم اجتماع، ومنظر سياسي اشتراكي، توفي في لندن.

³ مثل صيني شعبي يتناقله ساستهم ورعاياهم جميعاً منذ قديم، وهو يمثل ثقافة الشعب الهان الصيني في المعاملة مع قوميات أخرى.

بالزي الصيني الشيوعي، وسياسة توحيد القوميات في قومية الهان الواحدة واستيعاب الباقي من ناحية العرق واللغة والحضارة والثقافة والدين.

المطلب الأول

مفهوم الهوية لغة واصطلاحاً ومناقشتها

أولاً: مفهوم الهوية في اللغة:

الهوية في أصل اللغة "هو" مع ياء النسبة، وهي مُصْطَنع من الضمير "هو"، ومعناها صفات الإنسان وحقيقته، وجاء في القاموس: "وهي التي يجاب بها للسؤال: "من هو"، وأيضاً يُستعمل للإشارة إلى خصائص تميّز بها الشخصية الفردية".⁴

ثانياً: مفهوم الهوية في الاصطلاح:

تُعرفُ الهويةُّ بأنها مجموعةٌ من المميّزات التي يمتلكها الأفراد، وتُساهم في جعلهم يُحقّقون صفة التفرد عن غيرهم، وقد تكون هذه المميّزات مُشتركةً بين جماعةٍ من الناس، سواءً ضمن المجتمع، أو الدولة.

ومن التعريفات الأخرى لمصطلح الهوية: أنّها كلُّ شيءٍ مُشترك بين أفراد مجموعةٍ مُحدّدة، أو شريحة اجتماعية تُساهم في بناءٍ مُحيطٍ عامٍ لدولةٍ ما، ويتمُّ التعاملُ مع أولئك الأفراد وفقاً للهوية الخاصة بهم.⁵

وللمناقشة لمصطلح الهوية يمكننا أن نتناولها كالتالي:

1. مفهوم الهوية في الواقع: على ما سبق يمكن تعريف ماهية الهوية بتقسيمها إلى النوعين الرئيسيين باعتبار كل منهما في الإشارة إلى معناه الاصطلاحي، أو فكرة مُعيّنة حول شيءٍ ما. أولهما: الهوية الوطنية، والآخر: الهوية الثقافية. وبيانهما كالتالي:

⁴ معجم المعاني، "معنى الهوية"، المعاني، تاريخ الزيارة: 13.01.2020. بتصرّف.

⁵ محمد جماعة، "الهوية المتعددة الأبعاد"، المشهد التونسي، (2012). تاريخ الزيارة: 13.01.2020. بتصرّف. وينظر أبو

خليف، محمد، موقع موضوع. الرابط: <https://2u.pw/GVcRy>

النوع الأول: الهوية الوطنية: وهي الهوية التي تُستخدم للإشارة إلى وطن الفرد أو المواطن، والتي يتم تعريفها من خلال البطاقة الشخصية التي تحتوي على مجموعة من المعلومات والبيانات التي تتميز فيها المواطن الذي ينتمي إلى دولة ما، أو ما يعرف اليوم بالجنسية الوطنية.

النوع الثاني: الهوية الثقافية: وهي الهوية التي ترتبط بمفهوم الثقافة التي تتميز فيها مجتمع ما،⁶ وهي السقف الذي يستظل تحته أفراد تلك المجموعات التي تعتمد على عناصر أساسية بشكل مباشر، يمكن من خلالها إبراز الخصوصيات التي بها تتميز تلك الجماعة عن غيرها. والمنسب للإسلام ولفروعه العقدية كالسنة والشيعة، أو المذهبية كالحنفية والشافعية فتكون هويته من هذه القبيل.

ثالثاً: عناصر الهوية الثقافية أو الدينية:

- إجمالي الدراسات الاجتماعية التي تدرس الهوية الثقافية تتفق في أنها تتركب من العناصر الآتية:
- (1) **اللغة:** إذ تتميز الهوية الثقافية بنقلها لطبيعة اللغة بصفاتها من العوامل الرئيسية في بناء ثقافة الأفراد في المجتمع. وقد تكون اللهجة من هذا العنصر كالأويغورية بالنسبة للتركية.
 - (2) **الدين:** وإن الدين هو أحد العناصر الهامة التي تشكل الثقافة، ولا شك في أن أثر المعتقدات الدينية على حياة الأمم واضح.
 - (3) **فنون الأدب (الثقافية):** وهو انعكاس لمشاعر قوم ما وأفكارهم وملذاتهم وآمالهم وآلامهم، هي محاولته لإيجاد الجمال، أو جهوده في اختراع أشياء جدد، وينقسم هذا العنصر الثقافي إلى فروع: مثل الرسم، والنحت، والموسيقى، والأدب، الخ.
 - (4) **التقاليد والمظاهر العامة التي يمثلها العرف وطرز العيش:** وهي سمات خاصة بأعضاء قوم ما، من حيث الموقف المشترك والعقلية الفكرية والسلوك الجماعي.⁷ وتشكل هذه

⁶ المرجع السابق.

⁷ ينظر الكتاب الملخص للمدخل إلى علم الاجتماع، ص 6، تعريف الثقافة، جامعة آتاترك، قسم علم الاجتماع، اللسانس 2019.

Bkz: Sosyolojiye Giriş ders Özeti kitabı. S6. Atatürk Üniversitesi Sosyoloji Bölümü, lisans Bkz: Türk Edebiyatı Sözlülüğü. Kültür: <https://www.turkedebiyati.org/kultur-nedir-2019>. [kultur-hakkinda-kultur-anlami/](https://www.turkedebiyati.org/kultur-hakkinda-kultur-anlami/)

المواقف والسلوكيات الشائعة لأي قوم عبر جسور التاريخ التي تعكسها التجارب المشتركة فيما بينهم. فإنه يمثل وحدة المصير بين الناس، وقد تتجدد الثقافة في عملية تاريخية.

فعلى هذا وصلنا إلى خلاصة القول: بأن هوية تركستان الشرقية كهوية وطنية: هي الآن يسمى بـ "إقليم شينجانغ الأويغور ذاتي الحكم" (تحت احتلال الصين حالياً)، مع عدم توفير شروطها وهي اعتزاز المواطن بنسبتها متأكداً أن أي تركستاني يستنكر نسبته للصين. وأما النوع الأخير (الهوية الثقافية) هو الذي يمكننا تحديد هوية شعب تركستان الشرقية -هويتها الإسلامية- هي الهوية الحقيقية في الواقع الحالي والمستقبل، نظراً إلى النقاط التالية:

- أ. دين الإسلام الذي يتمثل في كونه حنفي المذهب، ماتريديي المعتقد، مزيجاً بالصوفية المعتدلة.
 - ب. أعراق الأتراك التاريخية التي كانت تمثلها قومية الأويغور -الغالبية في الإقليم- والقازاخ والقرغيز غيرهم حالياً، مرتبطة بالأصول التركية. وأما الصينيون المستوطنون فلا يعدون من سكان هذا البلد باعتبار هذه الهوية.
 - ت. اللغة الأويغورية (اللهجة) التي تنحدر من اللغة التركية التي تعتبر اليوم كأم نسبة إلى اللهجات الفرعية، كالأويغورية والقازاقية والقرغيزية وغيرها، (كلها فروع أصيلة من اللغة التركية).⁸
 - ث. الفنون الحضارية الخاصة بالشعب التركستاني، والتقاليد العامة التاريخية وطرز معاشهم اليومي التي قدّمها الشعب التركستاني إلى الإنسانية عموماً، والتي تُميّزهم عن الصينيين الهان في المشهد الحضاري والتاريخي والثقافي.
- أحياناً عندما يتناول موضوع الهوية قد يتبادر إلى الذهن تحليله من الجانب النفسي الذي يمثل له لفظ "النفس" في القرآن الكريم لنعرّف الذات الهوية ككوننا مسلمين، التي يمكننا تأصيلها وتقسيمها كالآتي:

⁸ اللغة الأويغورية هي أقدم اللهجات التركية كتابة في عائلة اللغات التركية. وكان استخدامها بهذا الاسم (اللغة الأويغورية) في عهد دولة الأورخون الأويغورية (646م-840م)، وبعد قبول أترك الأويغور الإسلام في عهد الدولة القرةخانية (الخاقانية) (840م-1312م): حولت حروف اللغة الأويغورية إلى الحروف العربية. وهي التي سُميت بـ "اللغة الخاقانية". وأما بعد احتلال المغول هذه البلاد سُميت بـ "اللغة الجغتائية" باسم حفيد جنكيزخان القائد المغولي بالأحرف نفسها، كما سُميت لغات أترك الأناضول باللغة العثمانية باسم عثمان بن أرطغرل المؤسس للدولة. فتوارثها الأجيال من القرن الرابع عشر إلى أيامنا بهذا الاسم والحروف، وازدهرت أدباً وبلاغة. وللتفاصيل ينظر كتاب "شهرقى توركستان قوللانمىسى" ص 28-30، شهرقى توركستان ودهقى، 1999، نُستأنبول.

1. النفس الأمانة بالسوء، قال تعالى: [إن النفس لأمانة بالسوء]، (سورة يوسف: 53).
 2. النفس اللوامة؛ قال تعالى: [ولا أقسم بالنفس اللوامة]، (سورة القيامة: 2).
 3. النفس المظمنة؛ كما قال الله تعالى: [يا أيها النفس المظمنة]، (سورة الفجر: 27).
 4. النفس الملهمة؛ حيث يقول الله تعالى: [فألهمها فجورها وتقواها]، (سورة الشمس: 8).
- وعلى غرار هذا تأتي الهوية بالمنطقة السيكلوجية الأدبية الغربية التي يتم دراستها بمحاولة الكشف عن شخصية إنسان تشمل ثلاثة عناصر نفسية يعني الهوية؛ أي ما يسمى بـ:
5. "Id"، بمعناه "الهوية"، يعد من أقدم جزء من أجهزتنا الروحية وأكثرها بدائية. إنه يشمل غرائزنا وكل ما نولد به على ما قبل المعرفة. بمعنى أنها الصفات البدائية للجنس البشري، من حيوانية وأنانية وعدوان، ورائدها دائما اللذة التي تشبع عادة الدوافع الفطرية ولا تؤمن نزعاته بالضمير والأخلاق أبدا، إنه الفطرة على صورتها غير المعدلة كما تبدو في الغرائز.
 6. بـ: "Ego" الذي يعني الأنا، هي مجموعة الوظائف العقلية التي تمكن البشر من العيش في وئام مع العالم الخارجي. بمعنى أنه قسم انسلخ من الهوية نتيجة الاحتكاك بالعالم الخارجي، ويقوم منه مقام القشرة من الشجرة تحميها وتصورها على إشباع رغباته في الخفاء، إذا كان إشباعها علنا يعرضه للمتاعب والآلام، ثم هو يسكنه عند الضرورة بالإرجاء أو الإبدال.
 7. "Super Ego" (الأنا العليا)، بمرور الوقت يتطور جزء من الأنا فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية والقيم. الجزء الذي نشأ نتيجة لهذا التطور يسمى الأنا العليا.⁹ بمعنى أنها تتكون بامتصاص الأوامر والنواهي المثالية، ويصبح بمرور الأيام سلطة داخلية تحكم وتنفذ، وتشتمل هذا الأنا العليا على تعليمات الأبوين إلى جانب آداب الجماعة والدين، وما يستطيع أن يحصله المرء في ثقافته من مبادئ ومثل تظل في صراع مع الهوية والأنا.¹⁰
- وهذه النظم الثلاثة للشخصية مرتبطة ببعضها البعض وتشكل مجمل السلوك البشري، ما هو إلا نتاج التفاعل كل من ثلاثيتها للإنسان.

⁹ ينظر الكتاب الملخص للمدخل إلى علم الاجتماع، ص6، تعريف الثقافة، جامعة آتاترك، قسم علم الاجتماع، اللسانس 2019.

Bkz: Sosyolojiye Giriş ders Özeti kitabı. S6. Atatürk Üniversitesi Sosyoloji Bölümü, lisans 2019.

¹⁰ لمزيد من المعلومات ينظر كامل محمد عويضة، علم النفس، ص 88 - 101، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1996.

وبذلك أيضا يتميز أي تركستاني عن أي صيني، هويةً وذاتياً بشكل واضح، رغم محاولة السلطات الصينية إلى تناسخ هذه العناصر بين السكان الأصليين والمستوطنين الصينيين.

رابعاً: الهوية الإسلامية للشعب التركستاني والأويغور

إضافة إلى أن أهم أركان الهوية السابقة على الإطلاق - ككوننا مسلمين - إنما الهوية لأتراك الأويغور هي العقيدة الإسلامية، يليها التاريخ واللغة وبقية عناصرها السابقة؛ فإذا تحدثنا عن الهوية الإسلامية نجد أنها مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة، بحيث إن الهوية الإسلامية تستغني تماماً عن أي لقاح أجنبي عنها، وتستعلي عن أن تحتاج إلى لقاح أجنبي يخصبها؛ فهي هوية خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة وأصول ثابتة رصينة تجمع وتوحد جميع المنتمين إليها تحت لوائها ومظلتها، وتملك رصيذاً تاريخياً عملاقاً لا تملكه أمة من الأمم، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابكة وممتدة برباط أخوة الدين، وتحيا لهدف واحد هو إعلاء كلمة الله، وتعبيد العباد لربهم، وتحريرهم من عبودية الأنذال إلى عبودية الله عز وجل، وأي واحد من جنود الجيش الإسلامي الذي كان يفتح البلاد وينشر ضياء ونور الإسلام، إذا سأله سیردد جواب ذلك الصحابي الذي سئل: ما جاء بكم؟ فقال: الله جاء بنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الديان، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، أو كما قال رضي الله تعالى عنه.¹¹

كما نلاحظ هذه المعاني السامية للهوية الإسلامية من خلال دراستنا لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، من أنه المجتمع المدني الذي أقامه على رباط الإسلام كان مجتمعاً عقدياً يرتبط بالإسلام، ولا يعرف الموالات إلا لله ولرسوله والمؤمنين - أي كان لونه ونسبه ونسبته - وهو أعلى أنواع الارتباط بالهوية المعنية في الإنسانية وأرقاه؛ إذ يتصل بوحدة العقيدة والفكر والروح، فضلاً عن عدّه الولاء في الله تعالى والبغض فيه من أصول الإسلام ومبادئه القطعية.

¹¹ محمد إسماعيل، "العقيدة الصحيحة هي الركن الأعظم للهوية الإسلامية"، ص4، دروس الشيخ المكتبة الشاملة الحديثة. الرابط:

<https://al-maktaba.org/book/32185/1075#p2>

المطلب الثاني

تعريف أتراك الأويغور وتركستان الشرقية

عندما درسنا اسم الأويغور لهذا الشعب قد نجد الخلافات حول استعماله، بحيث هل هو اسم للعرق القومي أم يشمل الوطن الجغرافي؟؛ للإجابة لهذا السؤال الدقيق يمكننا القول بـ:

أولاً: تعريف تركستان الشرقية:

كلمة تركستان تتركب من كلمتين: كلمة "ترك"، يعنى بها الأقوام المميزة عرقاً وسلالةً من سائر الشعوب الناطقة بالتركية في قارة آسيا، - وكلمة "ستان"، وهي فارسية بمعنى: المكان أو الوطن، أو البلاد، أو الأرض، فمعناها "بلاد الترك".¹²

ويطلق "تركستان" حالياً على المناطق الممتدة من شرق الجبال السماوية،¹³ ومن الغرب جبال الأورال وبحر قزوين، ومن الشمال سلاسل الجبال قليلة الارتفاع، ومن الجنوب هضبة تيب.

فتركستان تنقسم إلى قسمين: غربي وشرقي، أما تركستان الغربية فتضم كلا من قازاقستان وقيرغيزستان وأوزبكستان وطاجيكستان وتركمنستان، والتي احتلتها الروس البلشفية عام 1924، واستقلت بعد انهيار السوفييتي 1991. وأما تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين التي تسميها حالياً بـ(إقليم شينجيانغ الأويغور الذاتية الحكم).

تركستان الشرقية تقع في وسط آسيا الوسطى، وتحدها من الشمال منغوليا وروسيا، ومن الغرب قازاقستان وقيرغيزستان وطاجيكستان وأفغانستان، ومن الجنوب باكستان وكشمير وتيب. ومن الشرق الصين. كما ظلت موطناً لأتراك الأويغور الناطقة بالأويغورية التركية منذ القديم مع الأعراق الشقيقة التركية كقازاق وقيرغيز وأوزبك وغيرهم. كما أن من المهم ذكره لديها تاريخ عريق بالحضارات، وكان

¹² Amine Tuna, *Doğu Türkistanda Asmilasyon ve Ayrımcılık*, s15-20. 2012.

¹³ هي مجموعة جبال تقع في وسط تركستان الكبرى أو آسيا الوسطى، تمتد لأكثر من 2,400 كم، شمال شرقي البامير بتركستان. وتُسمى أيضاً جبال الإله "Tanrı dağı" لدى الأتراك، أيضاً تين شان باللغة الصينية، ويعني الجبال السماوية.

بينها وبين الصين حازرا كبيرا تاريخيا وثقافيا؛ فإنها جزء من آسيا الوسطى، وهم السكان الأصليون فيها مع إخوانهم القوميات التركية المذكورة، وليست جزءا من الصين كما تزعمه.

ثانيا: تعريف الأويغور وتركستان وجذور الكلمة تاريخيا

تكتب بـ"الأويغور" بالواو بعد الألف، وبدون الواو "الأيغور" أو "إيغور"، فمعظم المصادر التاريخية التي تحدثت عن تاريخ الأويغور يكتبونها بالشكل الآتي: "الأويغور" أو "الأواغرة". وبالأويغورية -اللغة الأم- بـ (ئويغور) تعني التضامن أو الائتلاف والاتحاد باللهجة الأويغورية التركية. تعود أصول الكلمة المنتشرة "Uyghur"، أو "Uyghur"، أو "Uygur"، إلى كلمة "Uygur".¹⁴ أما قوم الأويغور فيرجع تاريخهم إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وهي كتسميتها نتاج لتحالف أو اتحاد بين عدة قبائل أصيلة في البلاد.¹⁵

قد لا يخفي للكثير أن كلمة الأويغور اسم لشعب من الأتراك كقومية، أغلبهم يعيشون في تركستان الشرقية. ولا علاقة لها بالموقع الجغرافي. ولأنها اسم ظهر في التاريخ من القرن السابع الميلادي لإحدى أقوى القبائل التركية التي جمعت معظم الأتراك تحت دولتهم في أراضي شاسعة تشمل معظم الآسيا، وكانت تسمى بـ "إمبراطورية أو قاغانات الأويغور" (746م-840م).¹⁶ بعد انهيار هذه الدولة أسست ثلاث دول تركية في جغرافيتها (تركستان)؛ ككل من الدولة القاراخانية في جنوبها جمعا لمنطقة ماوراء النهر، واتخذت الكاشغر عاصمة لها، ودولة إيدقوت الأويغورية¹⁷ أو أورخون في شمالها، وهي التي اتخذت مدينة طورفان عاصمة لها، وحافظت على هذا الاسم إلى عام (656هـ/1258م)، ودولة الجويجو الأويغورية في إقليم كانسو وجوارها من الشرق إلى الاحتلال المغولي.¹⁸

¹⁴ سعاد هادي الطائي، الأويغور، دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة. دار ومكتبة عدنان، ط2، ص20. بغداد. 2016.

¹⁵ هناك تفاصيل ونقاشات واسعة حول جذورهم ومناطقهم التي استوطنوها في دراسة الأستاذة الدكتورة سعاد المذكورة، والتي تغني الناظرين في الموضوع عن الاطلالة. لمزيد من التفاصيل ينظر المرجع السابق.

¹⁶ نأبدؤلهكم باقي ثلثه بـ 'Doğu Türkistan Kullanmassı' (شرقي تركستان قوللانمىسى)، 1999 p. 60.

¹⁷ لمزيد من التفاصيل ينظر إلى سعاد هادي الطائي، الأويغور، دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة. ص20-25، ط2.

¹⁸ ثلثه بـ.

وبعد انهيار الدولة الأويغورية، وصعود سلطات أحفاد المغول في المنطقة، بدأ يفضل الشعوب اسم الترك بدل الأويغور لشموله على جميع الأتراك في تلك المناطق. وظل الاعتماد على هذا الاسم فيما بينهم حتى بداية القرن الماضي، حتى أن ظهرت الثورة البلشفية 1917م في السيطرة على آسيا الوسطى، وإعلان مصطفى كمال قيام الجمهورية التركية، وحصره لقب الترك على أتراك الأناضول، ولتوافق هذه التسمية لتخطيط الروس البلشفية لتعويق تأثير هذا الاسم (الترك) من مجموع أعراق الأتراك في آسيا الوسطى، ولحو تأثير مصطلح تركستان وإضعافها كجغرافية؛ قد اضطر الشعب التركستاني على استعمال الأويغور كغيرهم مثل بقية القوميات التركية كأوزبك وكازاخ وقيرغيز وألخ. ومن ثم بدأ أن يحتكر مصطلح "الترك" مفهومه على أتراك الأناضول فقط.

وقد تم ذلك بعقد مؤتمر سياسي بمدينة طشقند الأوزبكية عام 1921م حول توزيع القوى والروابط القومية، وسمي بـ "مؤتمر طشقند"، واتخذ القرار بتسمية شعوب تركستان الغربية بأسماء القبائل المعروفة عبر التاريخ، وأتراك تركستان الشرقية باسم الأويغور العريق في التاريخ بين عام 840-744))؛ فبدأت القوة المحتلة من الروس والصين تنشر فكرة القومية الأويغورية في مجتمع تركستان الشرقية مقابل القوميات التركية الأخرى في تركستان الغربية، كقازاق وقيرغيز وأوزبك وغيرها، ومن ثم تم ربط الناس به بإجبارهم عليه بقهر القوة ليحل اسم الأويغور مكان اسم الترك عام 1937م.¹⁹

ثالثاً: مناقشة استعمال "الأويغور" كاسم للجغرافيا التركستانية

فعلى ما سبق، اسم الأويغور -على المستوى الدولي- مصطلح يراد به الشعب الأويغوري كعرق (القومية الأويغورية)، والتي تم تكريسه بعد اعترافات الدول لحدود الدول، خاصة الحدود الجديدة للقوى الكبرى الغالبة في الحرب العالمية الثانية في أواسط القرن الماضي، لحدود الدول المستعمرة والمستعمرة. ولا علاقة به لجغرافية الإقليم (تركستان الشرقية).

أما اسم تركستان مصطلح سياسي ينحدر من الجزور التاريخية البعيدة. هناك دراسة خاصة في تثبيت لفظ "تركستان" كاسم للمنطقة في التاريخ، وهو ثابت في "مخطوط الوثيقة للدولة الأورخونية،

¹⁹ هذا يعتبر من أبرز الحركات البلشفية في تمزيق شعوب تركستان الكبرى. وبعبارة أخرى اصطلاحوا "آسيا الوسطى" للجغرافيا، لتكريس سيطرتها على تلك الأراضي الشاسعة، وابتدعوا قوميات متفرقة من داخل القومية التركية هناك. ولمزيد من التفاصيل ينظر كتاب تاريخ تركستان الشرقية للأستاذ محمد أمين بوغرى.

والتي تم ضبط تاريخه أنه كتب في عام 639م في مدينة طورفان،²⁰ والتي ذكرت بهذا الاسم في سجلات الرحالة العرب والعلماء الجغرافيين، كابن فضلان والطبري وغيرهم.²¹

كما يدل حالياً على إقليم تركستان الشرقية أو ما تسمى به الصين شينجيانغ الأويغور ذاتية الحكم، وهو الذي يعيش فيه الشعب الأويغوري كأغلبية السكان فيه مع القوميات التركية من القازاق والقرغيز وطاجيك ومنغول وغيرهم.

تركستان هو الاسم الذي حاولت الصين محوه من الصفحة التاريخية منذ احتلالها، في الداخل والخارج، لتكريس نسبتها إلى الصين، من حيث المنشأ والتطور وتاريخ التمدن والسياسة. كما ظل الشعب يكافح من أجل المحافظة على هذا الوعي وتوريثه ونقله إلى الأجيال القادمة.

رابعاً: علاقة اسم تركستان بآسيا الوسطى:

ظهر مصطلح آسيا الوسطى حديثاً منذ القرنين الأخيرين، وهو كمفهوم متنازع فيه، واختلف العلماء في تناوله وتحديد دائرته؛ حيث اعتمدت أنا على ما جاء في موسوعة "تاريخ الحضارة في آسيا الوسطى" التي نسقها منظمة المعارف والثقافة للأمم المتحدة (اليونسكو)، ألا وهي: "تشمل كلاً من الهضبة المنغولية، ممر هيشي، تشنغهاي (الحوض الأزرق)، تركستان الشرقية (إقليم شينجيانغ الأويغور ذاتي الحكم)، وديان النهرين آمو وسر (نهر جيحون وسيحون)، الجزء الجنوبي من السهوب القازاقستانية، الجزء الشرقي من إيران، وشمال أفغانستان، والجزء الغربي الشمالي من باكستان".²²

فخلاصة ما سبق إن الهوية الإسلامية المذكورة في الأعلى لشعب تركستان الشرقية (إقليم شينجيانغ الأويغور الحكم الذاتي حالياً) إسلامية ثابتة، منحوتة على صفوح ذلك الموطن المسلم، وهي التي نضجت

²⁰ ينظر قوربان ولي، "توركستان، شنجاڭ، ئۇيغۇرىستان دىگەن ناملار ھەققىدە تەتقىقات". ص6. واشنطن 2017.

²¹ ينظر رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة المؤلف: أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (المتوفى: بعد 310هـ) الناشر: دار السويدي، أبو ظبي الطبعة: الأولى، 2003 م عدد الأجزاء: 1 (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع). وينظر المسالك والممالك المؤلف: أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاضطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ) الناشر: الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة الطبعة: عدد الأجزاء: 1 (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع).

²² لمزيد من التفاصيل ينظر سما تشين، المذكرات التاريخية، وهي مجموعة من المواد التاريخية عن تاريخ آسيا الوسطى، سجلها المؤرخ الصيني في عهد السلالة الخانية. (سماجيبي، "تاريخي خاترلەر". تاريختكي ئوتتۇرا ئاسياغا دائىر تارىخىي ماتېرىياللار توپلىمى (24). شنجاڭ ئۇنۋېرسىتېتى ئىلمىي تەتقىقات باشقارمىسى ئوتتۇرا ئاسيا تارىخىي ماتېرىياللارنى تەرجىمە ۋە تەتقىق قىلىش گۇرۇپپىسى تەييارلىغان).

عبر التاريخ المديد بالعقيدة الماتوريدية والمذهب الحنفي. وكان موقعهم جزءاً أساسياً من الرقعة الإسلامية، وكذلك الموطن الأم للأتراك القدامى. وكما كان الإقليم محطةً وملتقى للحضارات المزدهرة عبر التاريخ كحضارات الفرس الساسانيين وحضارة الإسلام وديانات الأتراك القدامى كالبوذية والمانية والنصرانية.

تأكيداً على نسبتهم إلى اسم موقعهم الجغرافي كتركستان الشرقية باسم دولتهم في عام 1933 و1944 قبل احتلال الصين بما عام 1949، وأما كلمة الأويغور اسم العرق التركي الذي هو جزء أكبر من سكان هذا الوطن، وكما أن هذا الاسم تحاول قوة الاحتلال إحلاله بدل اسمها الجغرافي تركستان الشرقية ليتم ضمها لأراضيها، ومحو الإسلام والمسلمين منها.

أما دخول الإسلام في تركستان الشرقية: كانت أول مرحلة لتعارف الأتراك في عهد الخلفاء الراشدين، -وحتى من عهد الرسول ﷺ، لأنه الأحاديث التي تتعلق بالترك حجة ثابتة بمعرفته لحالات الأتراك. على سبيل المثال: عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر).²³ من المعروف أنه حينما بدأت جيوش الخلافة نحو خراسان كان يعيش هنا كثير من الأتراك؛ فأثناء فتح خراسان قد وقع كثير من الأتراك أسارى. إضافة إلى الأطفال والجواري الذين نقلوا إلى بغداد في العهد الأموي وتربوا تربية إسلامية صحيحة. وأنجب منهم رجال الدولة والعلماء والمحدثين والفقهاء. على سبيل المثال: أصل عبد الله بن مبارك والإمام البخاري والإمام الترمذي -وغيرهم كثير- كان من الترك.²⁴

يذكر في بعض المصادر التاريخية أن كاشغر التقت بالإسلام في العصر الأموي، فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي (96-49هـ/669-715م)، وهي إحدى أهم مدن تركستان الشرقية وعاصمتها عبر معظم التاريخ؛ فالطبري (ت 310هـ/923م) يذكر الجمل التالية حول كاشغر: "قتيبة بن مسلم تقدم

²³ البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، رقم الحديث: 2270. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، رقم 2912. وهناك أحاديث كالحديث (اتركوا الترك ما تركوكم..).

²⁴ هدى درويش، دور التصوف الإسلامي في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ط1. معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق. مصر، 2004.

من منطقة الفرغانة إلى كاشغر (عاصمة تركستان الشرقية عبر العصور) في 96 (715) وأخذها من الصينيين، الذين كانوا يحتلوها منذ 629²⁵.

وفي بعض المصادر العربية أن "تقدم قتيبة لمدينة كاشغر، قبل الإسلام أهل مدينة ياركند وحُتَن حول كاشغر. وبعد حوالي 30 عامًا، تأسست إمبراطورية الأويغور (840-744م) في المنطقة وانتهى الحكم العربي فيه. ثم تقدم الصينيون الذين استولوا على بعض مناطق تركستان الشرقية في الفترة الأموية إلى تركستان الغربية وأطلقوا حملة استعمار إلى منطقة ما وراء النهر التي كانت تحت سيادة الأمويين، وفي عام 751 دخل الجيش العربي وجيش تانغ الصيني في معركة ميدانية حول نهر طالاس و هزم الجيش الصيني باصطفاف الأتراك مع الجيش العربي.²⁶

وقد أسس قتيبة في مدينة بيكند كثيراً من المؤسسات الخيرية والدينية التي كانت تسمى الرباط، وكانت أماكن للإقامة وإيواء الفاتحين المسلمين يقوم فيها رجال التصوف ومريدوهم، على شكل بيوت الفكر. وقد كان أغنياء المسلمين ينفقون على إنشائها وتطويرها. وبهذه الخطوات كرس الإسلام والتصوف في شعوب ما وراء النهر بجوار تركستان؛ فأثر هذا في احتكاك الأتراك غير المسلمين بالإسلام.²⁷ وأسكن قتيبة العرب الدعاة والعلماء في ما وراء النهر والمدن المفتوحة وقام بتوظيفهم في الدوائر الحكومية، ومعاملتهم الحسنة مع الشعوب غير المسلمين بلطف وحكمة قد جلبهم إلى الإسلام.

وبعد قتيبة بن مسلم توقف أسلمة الأتراك فترة وجيزة إلا أن ولي الخلافة عمر بن عبد العزيز عمل على تأسيس دولة إسلامية سلمية البنية الاجتماعية، ففتح حركة أسلمة واسعة النطاق وقرب بين الأقسام التي تختلف في اللغة والأعراق والثقافات؛ فنتج عن هذا الجهد دخول الكثير في الإسلام من أهالي ما وراء النهر بفضل سياساته العادلة.²⁸

²⁵ موسوعة الإسلام، "الكاشغر"، وقف الشئون الدينية التركية، ج9، 2002، KEITH HITCHINS, 'KÂŞGAR'.

TDV İslam Ansiklopedisi, 2002, pp. 7-9.

²⁶ TAŞAĞIL Ahmed, **Talas savaşı**, *TDV İslâm Ansiklopedisi*, 39, s501. 2010, İstanbul.

²⁷ ينظر هدى درويش، ص8.

²⁸ ينظر سعاد الطائي، القاراخيون، ص28.

المطلب الثالث

تحديات الهوية الإسلامية في المجتمع التركستاني

قد عاش الشعب التركستاني بتحول حاسم في هويتها الدينية بالبوذية والمانية في القرن العاشر الميلادي بأسلمة الدولة القاراخانية وإعلانها بأن الإسلام دين الدولة رسمياً، وبعد هذا التحول الإسلامي لم يزل متمسكين بالعقيدة الماتريديّة والمذهب الحنفي رغم الابتلاءات المغولية، وبعدها الحروب الشرسة المتسلسلة، إلى أن تم تكريس الصين بقيادة الحزب الشيوعي احتلالها لإقليم تركستان الشرقية بدون تكلفة الحرب عام 1949.

فأول ما قام به الحزب الشيوعي فصل الإقليم عن المجتمعات الإسلامية والتركية بشكل عام، - إلا خلال سياسة الانفتاح الخارجي الصينية في الثمانينيات تمكن عدد قليل من الشعب التركستاني من الذهاب إلى الحج-. ومنذ سبعين عاماً حاولت الصين ضم الشعب التركستاني إلى أمة الهان الصينية قلباً وقالباً، وتغيير هويتها الأصلية بالهوية الجديدة بنسخة صينية، ونجحت في كثير من هذه المحاولات السياسية.

كما لأن فيها دوراً هاماً لما حدث في العالم الإسلامي من انتشار الفكرة الاشتراكية والشيوعية في العالم الإسلامي ثم نشأة القومية العربية، ثم التفرقة العدائية حسب ترسيم حدود الجغرافيا بعد الفشل في الحرب الفلسطينية؛ فاستغلتها الصين لإخفاء تركستان الشرقية كقضية إسلامية من وعي المسلمين في الدول العربية. علماً أن احتلال تركستان الشرقية تم بعد الحرب العالمية الثانية والمساعدات الحربية لاحتلالها من الاتحاد السوفيتي والدبلوماسية، ومن التحولات السياسية في ترتيب النظم العالمية والاتفاقات والمواثيق الدولية لصالح الدول الكبرى دون الآخرين، فبقيت قضية تركستان الشرقية مهمشة كبقية قضايا المسلمين تحت القوى الكبرى المستعمرة.

وقد بادرت الصين من بداية احتلالها لتركستان الشرقية بحملات قمعية متوالية على نحو هوية الشعوب المسلمة من مسلمي الأويغور وغيرهم، وإنهاء دور أية رابطة اجتماعية في جميع طبقات المجتمع، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، باستخدام كافة الوسائل القمعية التي تملكها، واتخذت سياسة استيعاب الديموغرافية والهوية الإسلامية لسكان الأصل، واستهدفت نحو معالم الإسلام في المظاهر والتعاليم ورأي المجتمع العام. كنتيجة لذلك قد تحققت عملية التدويب والدوبان للكثير من الشعوب

المستعمرة في ظلّ هذه الشعارات الحمراء المشهورة بـ(الدين أفيون الشعوب، المعتقدات الدينية فيروسات للعقول، مجلبة للرجعة والتخلف وغير ذلك من الشعارات الحمراء).²⁹

ومن الناحية الثقافية لهوية الشعب التركستاني، لا شك في أن حاولت الصين بشيوعيتها المسيطرة على كافة تحركات الشعب التركستاني لتجزئته وتشرذمته، لإخضائه لعملية التحويل الثقافي ولإضعاف انتمائه المشترك بين السكان الأصليين، وتشويه هويتهم بطرق متعددة، فمن أهمها:

1. تمزيق النسيج الاجتماعي بين السكان الأصليين والتشكيك في مصلحة العمل المشترك.
2. التشكيك في انتمائهم إلى أصل واحد، والتشديد في التجزئة.
3. تشويه الملامح المميزة للهوية الجماعية المشتركة، وخصوصاً العنصر الثقافي.

كما تم ذوبان القوم المانشوري الذي حكم الصين كإمبراطورية صينية خلال الفترة عام (من 1644 إلى 1912)، وانقلبت عليها الصين الحالية بـ "ثورة شنغهاي"،³⁰ التي غيرت مسيرة تاريخ الصين إلى الفوضى والمجاعة والحروب الداخلية، ولم تبق لهم أثراً سوى سجلات التاريخ.

وإذا نظرنا في وضع تركستان الشرقية قد نرى مسلمي الأويغور يتميزون بالإسلام عن مجتمع الصين والمجتمعات والقوميات المتجاورة، وخاصة بتمسكهم بالمذهب الحنفي، من حيث الثقافة والفكر العام والعقيدة وغيرها. وقصدي من تناول كلمتي "الثقافية" و"الفكرية" هو؛ إبراز دور المذهب الحنفي ومكانتها في هوية مسلمي الأويغور التي تميزهم من الشعب الصيني الهان، وتأكيد دوره الأساسي الذي لعبه في حفظ هويتهم العرقية والدينية أمام سياسات ممنهجة متواصلة منذ سبعين عاماً، بعمليات القمع والإبادة الجماعية، والحرب الفكرية والأيدولوجية المسمومة التي تهدف إلى طمس هويتهم وتذويب الديموغرافية وتبديلها وتغيير المظاهر التقليدية والحرف اليدوية والصناعات المحلية وأسلوب المعيشة كلها، وحتى المناخ في وطنهم المستعمر تركستان الشرقية.

²⁹ لا يخفى على أحد تلك الشعارات الشيوعية التي تحقر الإسلام والقيم الدينية. بالإضافة إلى ذلك الحملات المنهجية في محو الإسلام تحت سياستها "تصيين الإسلام" التي يصرحها جواد الحزب الشيوعي على حد سواء. وللمزيد ينظر المقال لهيومن رايتس ووتش "القضاء على الفيروسات الأيدولوجية". <https://www.hrw.org/ar/news/2018/09/09/322198>

³⁰ ثورة شينخاي أو شينهاي (بالصينية: 辛亥革命: Xīnhài Géming) وتسمى كذلك بثورة 1911. بدأت بما يعرف بعصيان أوهان في 10 تشرين الأول 1911 وانتهت بإنهاء الملكية في الصين وخلع الإمبراطور بوئي في 12 شباط 1912.

قد يستنتج من الفقرات السابقة مدى خطورة السياسات الصينية نحو هوية الشعب التركستاني، وتهميش الروابط الاجتماعية التي تتمثل في ثقافة المجتمع التركستاني؛ من مظاهر وطراز الحياة الاجتماعية والمعمارية واستخدام اللغة الأم للسكان الأصليين في تركستان الشرقية. وقد يشار إلى كيفية المحاولة لتجزئة الشعب في الفكر والأيدولوجيا، كتهميش المذهب الحنفي وإبعاد دوره عن سلوكيات الشعب التركستاني على وجه شمولي.

المبحث الثاني

المذهب الحنفي ومراحل توسعه وانتشاره

تمهيد:

تشكّل المذهب الحنفي وانتشاره في العالم الإسلامي قد يعد من أقدم المذاهب الفقهية، وأكثرها قبولاً وانتشاراً بين المسلمين، وتلقى القبول حكومة وشعباً في أقصى الرقعة الإسلامية. قد تكون المذهب الحنفي في أوائل القرن الثاني الهجري، وعرف بالمذهب الحنفي وعلمائهم بالأحناف نسبةً إلى الإمام أبو حنيفة، الذي صعد على كرسي الإفتاء والتدريس خلفاً لشيخه حماد بن أبي سليمان عام 120هـ. في حين لم يكن هناك تفرقة بين علوم رواية الأحاديث والفتاوى والكلام الجدلي (العقيدة). وحُظي المذهب بالانتشار والقبول من قبل الأمة الإسلامية ومركز السلطة المستقر الذي كان بيد الأمويين ثم العباسيين. وتم ذلك بإيثار الحنفية بالقضاء في العصر العباسي لما تولى هارون الرشيد (ت 809م/193هـ) الخلافة، ولي القضاء أبا يوسف (ت 182هـ/798م) صاحب أبي حنيفة، وذلك بعد سنة 170هـ، وأصبحت تولية القضاء بيده، فلم يكن يولي ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر من إفريقيا إلا من أشار به، وكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين إلى مذهبه، فاضطرت العامة إلى أحكامهم وفتاواهم، وفشا المذهب في هذه البلاد فشواً عظيماً، ولم يزل هذا المذهب غالباً على هذه البلاد لإيثار الخلفاء العباسيين بالقضاء. ثم لما فتح العثمانيون مصر حصروا القضاء في الحنفية، وأصبح المذهب الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها، ورغب كثير من أهل العلم فيه لتولي القضاء.³¹

كانت بداية فترة تشكل المذهب حلقة وصل بين عصر التابعين وبين عصر أتباع التابعين، والذي برزت شمس الاجتهاد وأعلام الفقهاء والاستنباط، كالفقهاء السبعة من التابعين، ناهلين من ينابيع

³¹ محمد أمين نور محمد الأويغوري، العوامل السياسية في تشكل المذهب الحنفي وتكوينها في القرن الثاني الهجري، موسوعة "دور

القرن الثاني الهجري في تكوين العلوم الإسلامية"، ج4، ص23-38، ط1. دار Iksad، 2022.

حلقات العلوم لأعلام الصحابة رضوان الله عليهم، كعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وأنس بن مالك وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين.

كما يعد القرن الثاني الهجري مقدمةً لوضع أحجار الأسس لكل من الفقه والتفسير ورواية الأحاديث، وبداية لانتشارها من العراق إلى أطراف الرقعة الإسلامية إلى الأمصار والمدن، بعد أن كانت منحصرة في المدينة ومكة والكوفة والبصرة.

المطلب الأول

تعريف المذهب الحنفي وتشكله وانتشاره

لفظ المذهب الحنفي مركب من كلمتين: المذهب والحنفي، يدل جزئه على جزء المعنى، ويتوقف فهم معناه مركباً على معرفة معنى جزئيه على حدة، وتتناول معنى كل من "المذهب" و"الحنفي" ومعنى حالة تركيبه أولاً، ثم نتكلم عن تأسيسه وأعلامه، وذلك في ثلاثة فروع:

أولاً: تعريف المذهب الحنفي مركباً في اللغة والاصطلاح:

المذهب وزن مفعول من فعل ذهب يذهب ذهاباً، أحد أبواب الفعل الثلاثي المجرد.³²

أصل مادة (ذ،ه،ب) مستعمل في معنيين أساسيين:

المعنى الأول: الحسن والنضارة، اعتبره ابن فارس (329هـ-941م/395هـ-1004م) (رحمه

الله تعالى) في معظم الباب،³³ ومنه:

³² ينظر شرح لامية الأفعال لابن ناظم، ص3. لسان العرب لابن المنصور، (ذهب)، القاموس المحيط للفيروز آبادي (ذهب)، شذا العرف للحملاني، ص20.

³³ ينظر مقاييس اللغة باب (ذهب).

أ. الذهب (محرّكة الهاء) للتبر، (المعدن النفيس المعروف)، يقال: ذهب الشيء وأذهبه: إذا طلاه بالذهب.³⁴ وقال الجوهرى وابن المنظور (رحمهما الله تعالى): "الإذهاب والتهذيب واحد، وهو التمويه بالذهب".³⁵

ب. الذهبة للمطر، (لأن به تنضر الأرض والنبات).³⁶

المعنى الثاني: المضي والسير والمرور، يقال: ذهب فلان ذهاباً وذهوباً ومذهباً: إذا مضى أو سار أو مرّ.³⁷

والذهاب قد يكون حقيقة، وقد يكون كناية أو مجازاً، ولهذا يقصد بالمذهب الطريقة المعتقّدة. وعلى هذا عرّف المناوي رحمه الله تعالى (ت 1031هـ) المذهب، حيث قال: "المذهب لغةً محلّ الذهاب، وزمانه والمصدر، والاعتقاد والطريقة المعتقّدة، ثم استعمل في يصار إليه من الأحكام".³⁸ فعلى هذا يستقر ما عرّفه به الحموي (ت 1098هـ): "في العرف: هو ما اختص به المجتهد من الأحكام الشرعية الفرعية المستفاد من الأدلة الظنية".³⁹

وعرفه بعض العلماء بأنه عبارة عن "الأحكام الشرعية الفرعية الاجتهادية وأسبابها وشروطها وموانعها والحجج المثبتة للأسباب والشروط والموانع".⁴⁰

وأما لفظ "الحنفي": هو نسبة إلى أبي حنيفة، وكنية لإمام المذهب النعمان ابن ثابت الكوفي كما ذكر في السابق.

وأما تعريف المذهب الحنفي في الاصطلاح:

³⁴ ينظر ابن المنظور، لسان العرب، (ذهب)، الفيومي، المصباح المنير (ذهب)، الفيروز آبادي، القاموس المحيط (ذهب).

³⁵ الجوهرى، الصحاح (ذهب)، ابن المنظور، لسان العرب (ذهب).

³⁶ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، (ذهب).

³⁷ المرجع السابق، لسان العرب والقاموس المحيط (ذهب).

³⁸ المناوي، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي، التوقيف على مهمات التعاريف. ص 301.

³⁹ الحموي، أبو العباس أحمد بن محمد مكي. غمز عيون البصائر، ج 1، ص 30.

⁴⁰ القراني، الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، ص 300.

على ماسبق من التعريف بالمذهب، هو عبارة عن آراء الإمام أبي حنيفة وأصحابه المجتهدين في المسائل الاجتهادية الفرعية، وتخريجات كبار العلماء من أتباعهم، بناءً على قواعدهم وأصولهم، أو قياساً على مسائلهم وفروعهم. ومن الجدير تنبيهه أن نسبة الآراء في المذهب الحنفي لا ينحصر على الإمام أبي حنيفة فحسب، بل هناك آراء وتخريجات لعلماء جهابذة من تلامذته وأتباعه تختلف عن آراء الإمام. وقد نضج المذهب باجتهادات العلماء عبر القرون بعزو الأصول وتخريج الفروع إلى الإمام رحمه الله تعالى رغم الاختلاف.

ثانياً: تأسيس الإمام أبي حنيفة للمذهب الحنفي ومراحل

قد ولد الأمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى في عام 80هـ في مدينة الكوفة في أسرة ذات أصول فارسية على أرجح الأقوال،⁴¹ في أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685-705م). ونشأ في الكوفة وترى بها وعاش أكثر حياته متعلماً ومجادلاً ومعلماً. وعندما ننظر في ظروف أسرته، قد يستفاد أنهم من أهل اليسار، وكان أبوه تاجراً متديناً من أهل الثروات يحترف التجارة،⁴² لذلك توجه الإمام إلى حفظ القرآن في سنه المبكر. وأدرك جماعة من صغار الصحابة رضوان الله عليهم، كأنس بن مالك (ت93هـ) وعامر بن الطفيل (ت102هـ) وعبد بن الحارث بن جزء الزبيدي (توفي سنة بضع وثمانين من الهجرة) وسهل بن سعد الساعدي (ت88/91هـ). ونشأ في عهد التابعين، وتفقه وأفتى معهم،⁴³ بتوفيق من الله له حظي بأصحاب اجتمعوا له كأبي يوسف بن إبراهيم الأنصاري (113-182هـ)⁴⁴ المقدم في علم الأخبار والحسن بن زياد اللؤلؤي (116-204هـ) المقدم في

⁴¹ ينظر أبو زهرة محمد. أبو حنيفة؛ حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص 15، ط الثانية. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر. 1948م.

⁴² ينظر المرجع السابق، ص31.

⁴³ هناك آراء في عدم لقياء بالصحابة مع أنه عاش في زمنهم، ولكن الثابت بروايات عديدة موثقة أنه لقي جماعة منهم وروى عنهم. لمزيد من التفاصيل ينظر مناقب أبي حنيفة وصاحبيه، طبعة لجنة إحياء المعارف النعمانية بحيدرآباد بمطابع مكتبة إمداديو ملتان باكستان، ص708. وفي طبقات الحنفية، ص162.

⁴⁴ الإمام أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري قاضي القضاة، ولد سنة 113هـ، حدث عن هشام بن عروة ويحيى بن شعيب الأنصاري وعطاء بن السائب والأعمش وأبي حنيفة ولزمه وتفقه به وهو أنبل تلامذته وأعلمهم. وأخذ عنه العلم محمد بن

السؤال والتفريع وزفر بن الهزبل (110-158هـ) المقدم في القياس ومحمد بن الحسن الشيباني (132-189هـ) المقدم في الفطنة وعلم الإعراب والنحو والحساب.⁴⁵

وفي بداية عمره كان مشغولاً بمهنة التجارة في الأسواق لا في حلقات العلماء إلا قليلاً، حتى لاح لبعض العلماء،⁴⁶ ما فيه من ذكاء فطني وعقل علمي وقوة فكرية؛ فأوصاه بمجالسة العلماء، وأن يختلف إليهم كما يختلف إلى الأسواق. وقد لازم الإمام حماداً ثمانية عشر سنة. ومات حماد وهو في الأربعين. وقد نجد أنه يكثر رحلة الحج ويلاقي في مكة ومدينة العلماء، فلا شك في أن تكون في هذه اللقاءات مذاكرة علمية ومدارسة فقهية. يقول الشيخ محمد أبو زهرة: "ممن روى عنهم ومن دارسهم كانوا من الفرق الضالة؛ فلقد ثبت أنه دارس زيد بن علي زين العابدين، وجعفر الصادق من أئمة الشيعة، وعبد الله بن حسن بن حسن بن أبي محمد النفس الزكية..."⁴⁷ وبذلك تعرّف على الفرق الكلامية والسياسية. يمكننا التأريخ للمذهب بالمراحل التالية:

1. مرحلة تأسيس المذهب الحنفي في الفقه:

تبدأ بصعود الإمام على كرسي الإفتاء والتدريس بعد أستاذه حماد بن سليمان، فأول من فرّع في الفقه وخص به هو الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى، وقد أقر له بذلك الإمام الشافعي رحمه الله تعالى "الناس كلهم عيال على أبي حنيفة في الفقه"، وبنشأة الفقه كعلم مستقل عن مجمل العلوم الإسلامية في بداية القرن الثاني بادر الفقهاء وخاصة مؤسسوا المذهب الحنفي إلى تشحيد العقول وهم التلاميذ الملمين بالفقه في الاستنباط والاجتهاد

الحسن ومعلّى بن منصور وهلال الرأي وابن سماعة وغيرهم. وحدث عنه يحيى بن معين أحمد حنبل وغيرهم. ومن مؤلفاته الخراج والمبسوط وأدب القاضي. توفي سنة 182هـ.

⁴⁵ طبقات الحنفية، ج1، ص160.

⁴⁶ يذكر أن الإمام الشعبي -ويقال إنه حماد بن أبي سليمان- أوصى لأبي حنيفة أن يتجه إلى العلم والاشتغال به دون أن يغرق في التجارة، فقبل نصيحته بقدر اكتفائه لاستقامة حياته. لمزيد من التفاصيل ينظر كتاب المذهب الحنفي؛ مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته، لأحمد بن محمد نصر الدين النقيب، ص48. مكتبة الرشد، الرياض. وينظر الكتاب أبو حنيفة؛ حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص21-23.

⁴⁷ ينظر الكتاب أبو حنيفة؛ حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص27.

أكثر من كونها ظواهر حروف النصوص، وذلك في منهجية موحدة وأساليب منضبطة؛ فنستطيع هنا أن نقول إن أول من بادر بأهمية هذه هو الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت رضي الله عنه الذي قسم الفقه إلى نوعين، أولهما الفقه الأكبر -وهو التوحيد أو العقيدة- والثاني الفقه الأصغر وهو الفقه الذي نعرفه.

في حين كانت الأمور تدور حول تداول متون الأحاديث ومناقشات التفاسير وحدود حروف النصوص؛ جاءت مبادرة الفقهاء الأئمة الأحناف إلى مراجعة فتاواهم حسب المنازعات السياسية والفرق المتعارضة، والعوامل التي دفعتهم إلى التعمق في فهم لب أدلة الأحكام الشرعية والاستدلال بها، وليست بمجرد وقوفهم عليها عند إصدار فتاواهم.

مع ملازمة الإمام أستاذه حماد بن أبي سليمان ولقياه من الفقهاء والمحدثين وتتبعه التابعين أينما كانوا وأينما ثقفوا وخصوصا التابعين الذين اتصلوا بالصحابة كانوا ممتازين في الفقه والاجتهاد، وأصبح يملك ملكة فقهية واجتهادية، وحتى قوله: "تلقيت فقه عمر وفقه علي وفقه عبد الله بن مسعود وفقه عبد الله بن عباس عن أصحابهم"، يثبت الحجة المذكورة أعلاه. يصادف بداية بروز المذهب الحنفي لحين ورث أبو حنيفة -رحمه الله تعالى- منصة التدريس والتلقين والإفتاء من أستاذه حماد بن أبي سليمان (ت120هـ) وهو عن إبراهيم النخعي (ت96هـ) وعلقمة (ت61هـ) والأسود (ت75هـ) ومسروق (ت62هـ)، وهم أخذوا العلم عن فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين. وبهذه السلسلة العلمية زاع صيته وشهرة مذهبه إلى الأطراف وتلقى القبول من عامة المسلمين. وعلى الاتفاق تنتهي هذه المرحلة بوفاة تلميذه الحسن زياد اللؤلؤي عام 204هـ.

2. مرحلة التوسع والنمو والانتشار:

تبدأ هذه المرحلة من وفاة الإمام الحسن بن زياد اللؤلؤي (ت204هـ)، وتنتهي بوفاة الإمام عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت710هـ) صاحب المتن المشهور "كنز الدقائق"، وهذا يعني أن ابتداء هذه المرحلة كان من بدايات القرن الثالث الهجري، وحتى

نهایة القرن السابع الهجري⁴⁸. یوافق دخوله فی سائر البلاد الإسلامية للقرن الرابع الهجري، رغم أنه أول مذهب فقهي وفقهاء العراق والقضاء فی الدوائر الحكومية حينها فی الغالب علی المذهب الحنفي.

تمثل هذه المرحلة أزهى وأغنی المراحل التي مر بها الفقه الحنفي، من حيث التوسع والانتشار، ومن حيث توسع اجتهاداته، وتطور آرائه؛ فقد ظهر فی بداية هذه المرحلة طبقة المشايخ، أو كبار علماء المذهب، الذين بذلوا جهوداً ضخمة فی تحرير المذهب، وتحديد مصطلحاته، وبيان أصول الترجيح والتخريج، وكانت كتب محمد بن الحسن الشيباني أو ما اصطلح علی تسميتها بكتب "ظاهر الراوية" هي الممثل الأول للمذهب، والناطق بآرائه وأقواله.⁴⁹ بالإضافة إلى ظهور مدرستان أصوليتين عند الحنفية، لكل منهما ما يميزها عن الأخرى، وهما:

أ. مدرسة العراقيين، وعلى رأسها أبو الحسن الكرخي: وتعد تلك المدرسة امتداداً لطريقة الإمام أبي حنيفة وأصحابه الأوائل.

ب. مدرسة مشايخ سمرقند، وعلى رأسها أبي منصور الماتريدي: وقد تميزت تلك المدرسة بربط مسائل الأصول بمسائل العقيدة؛ مما أدی إلى وجود بُعد الاختلافات والانفرادات عن مدرسة العراقيين.

3. مرحلة الاستقرار والركود:

تبدأ تلك المرحلة من وفاة الإمام حافظ الدين النسفي (ت 710هـ)، أي من بداية القرن الثامن الهجري حتى وقتنا المعاصر.⁵⁰ وقد غلب الركود الفقهي علی عكس ما كانت علیه المرحلة السابقة؛ حيث اكتفى أصحاب هذه المرحلة بالاعتماد علی ما

⁴⁸ ينظر محمد إبراهيم أحمد علي، المذهب عن الحنفية، ص: 36-62. ط2. مجلة الوعي الإسلامي، الكويت. ١٤٣٨ هـ-

٢٠١٧ م.

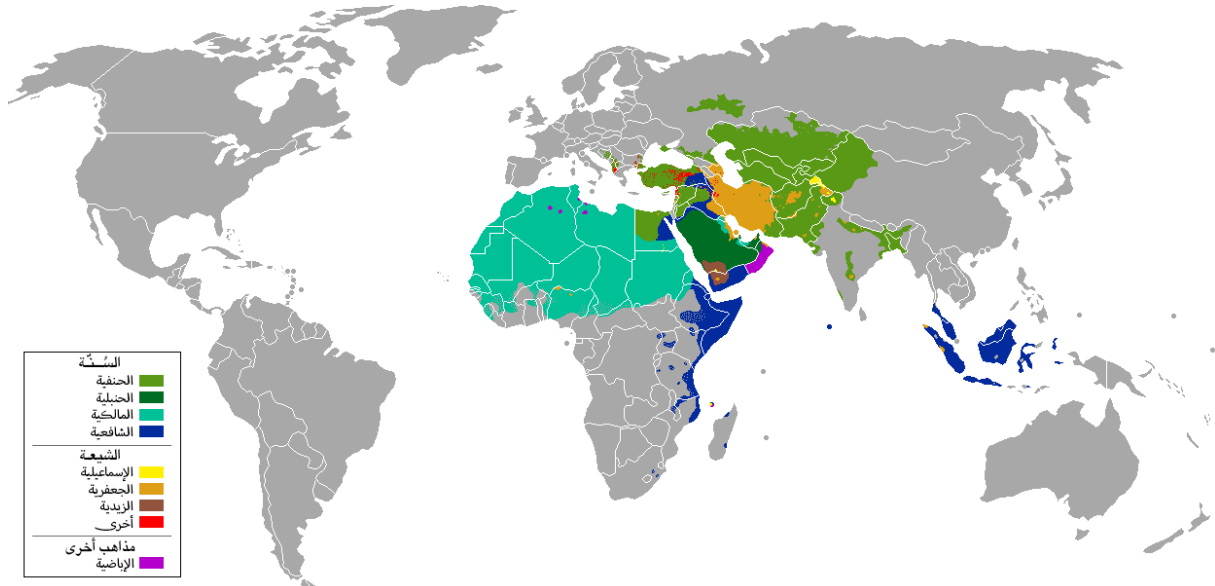
⁴⁹ ينظر المرجع السابع، ص62.

⁵⁰ المرجع السابق، ص37.

خلفه الأولون من الآراء والأقوال الفقهية، دون تجاوز إلا على سبيل الشرح، أو التعليق، أو الردود؛ فكانت كل مصنفات تلك المرحلة وفقاً لذلك. وقد ترتب على ذلك أن أُشِبت مسائل المذهب وفروعه بحثاً، ومناقشة، وإيضاحاً، وتأييداً، مما جعل المذهب أو الرأي الراجح فيه يظهر بصورة أكثر وضوحاً.⁵¹

ثالثاً: انتشار المذهب الحنفي في العالم الإسلامي

وهو الآن منتشر بالشام، تكاد لا تخلو فيه قسبة أو بلد من حنفي، وربما كان القضاء منهم. وكان المذهب الحنفي في إقليم الشرق أي خراسان وسجستان وما وراء النهر وتركستان وغيرها، كما كان أهل جرجان وبعض طبرستان من إقليم الديلم حنفية. وكان غالباً على أهل ديبيل من إقليم الرحاب الذي منه الران وأرمينية وأذربيجان وتبريز، وموجوداً في بعض مدنه بلا غلبة. وكان غالباً على أهل القرى من إقليم الجبال، وكثيراً في إقليم خوزستان المسمى قديماً الأهواز. وكان بإقليم فارس كثير من الحنفية، وكان القضاء فيهم بالحنفي. وكانت قصبات السند لا تخلو من فقهاء حنفية، كما كان ملوك بنجالة بالهند جميعاً حنفية.



الخريطة: توضح انتشار المذهب الحنفي وتوزيع المذاهب الفقهية الأخرى⁵²

⁵¹ المرجع السابق، ص 82.

⁵² Madhhab_Map2.png: Ghibar derivative work: Bassem (talk) - Madhhab_Map2.png

وأما انتشاره في البلاد الإسلامية في العصر الحالي، يسود المذهب الحنفي جميع بلاد الترك في تركستان أو آسيا الوسطى، ما عدا أذربيجان؛ حيث يتركز المذهب الحنفي الآن في تركستان الشرقية والغربية وبلاد السند _باكستان والهند_، أو في أو ما يسمى دول آسيا الوسطى، وكذلك الغالب على بلاد الأفغان، ويقل الشافعي والحنبلي. وقد أنجبت هذه البلاد فقهاء وأئمة كباراً في المذهب الحنفي. وكذلك شاع المذهب الحنفي في بلاد القوقاز والأناضول ودول البلتيق. والغالب على مسلمي البرازيل وفي البلاد الأمريكية الأخرى المذهب الحنفي.



الفصل الثاني

مراحل أسلمة شعب تركستان الشرقية والمذهب الحنفي في الحقب التاريخية له

يحتوي هذا الفصل مبحثين رئيسيين كالتالي:

المبحث الأول: مراحل أسلمة شعب تركستان الشرقية

المطلب الأول: مرحلة تعارف شعب تركستان بالأسلام

المطلب الثاني: مرحلة أسلمة الدولة القاراخانية

المطلب الثالث: مرحلة إتمام أسلمة شعب تركستان الشرقية

المطلب الرابع: المذهب الحنفي وعوامل قبول أتراك الأويغور الإسلام

المبحث الثاني: دور المذهب الحنفي في الحقب التاريخية لشعب تركستان الشرقية

المطلب الأول: دور المذهب الحنفي في عهد الدولة القاراخانية

المطلب الثاني: دور المذهب الحنفي في عهدي الجغتائية والتيمورية

المطلب الثالث: دور المذهب الحنفي من عهد الخانات السعيدية إلى الاحتلال

المبحث الأول

مراحل أسلمة شعب تركستان الشرقية والعوامل السياسية فيها

يختلف دخول الإسلام في تركستان الشرقية عن دخولها في الصين تماماً، بكون المنطقة متصلة بتركستان الكبرى وماوراء النهر، وبعيدة عن الصين القديمة، باعتبار فصل الصحراء بينهما، بمعنى أن الصين الحالية ليست جغرافيتها كما تعرف الآن؛ فالشعب الصيني كان يعيش بين النهرين بين النهر اليانغتسي⁵³ وبين النهر الأصفر⁵⁴ وداخل السدود الصينية العظيمة ومع أنه كانت الحروب المتواصلة بين الأتراك والصينيين. يذكر في السجلات التاريخية أن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بعث مبعوثاً إلى الصين عام 651م، واستقبل من الملك الصيني بحسن الحوار والتعارف الثقافي، ومن هذه النقطة تبدأ بداية الإسلام في الصين. وكان ذلك التواصل عبر الطريق البحري الذي يمتد من الخليج وبحر العرب فمحيط الهندي عابراً من مضيق البنغال إلى المدن الساحلية للصين. وجاء كثير من التجار المسلمين واستوطنوها لغرض التجارة، وبدأ الإسلام ينتشر فيها بدورهم التجاري والدعوي.

وأما الإسلام في تركستان الشرقية بدأ بطرق الفتح الإسلامي بقيادة قتيبة بن مسلم الباهلي لمناطق تركستان الكبرى في العهد العباسي، ما بين 86-96هـ بدءاً من مدن ماوراء النهر كبخارى وسمرقند حتى مدينة كاشغر. ومن هذا المنطلق يمكننا القول: بأن تحققت أسلمة تركستان الشرقية بالمراحل التالية:

⁵³ نهر اليانغتسي أو باللغة الصينية تشانغ جيانغ أكبر وأطول نهر في الصين والثالثة في العالم. وهو ينبع من مقاطعة تانقولا بمقاطعة تشنغهاي بجوار تركستان الشرقية. يبلغ طوله 6300 كيلومتر.

⁵⁴ وهو ثاني أكبر نهر في الصين، ينبع أيضاً من مقاطعة تشنغهاي بجوار تركستان الشرقية. يبلغ طوله 5500 كيلومتر.

المطلب الأول

مرحلة تعارف الشعب التركستاني مع الفتح الإسلامي كأفراد

يعتبر قبول الأتراك الإسلام من أهم التطورات في تاريخ الإسلام. كان عهد الخلفاء الراشدين (632-661)، خاصة فترة الخليفة عمر (634-644)، فترة مهمة للغاية لتوسع الإسلام. نتيجة للفتوحات، التقى المسلمون بالأتراك في خراسان وما وراء النهر والقوقاز. ومع ذلك، فإن حقيقة أن الأتراك لديهم معتقدات أخرى جعلت النزاعات أمرًا لا مفر منه. إن توسع الإسلام في منطقة ما وراء النهر، حيث يعيش الأتراك بشكل مكثف، وتغلغل الدعوات الإسلامية في المنطقة، مكن الأتراك من مواجهة الإسلام. كانت فترة الأمويين (661-750) من أهم مراحل عملية أسلمة الأتراك، حيث عُرف خلالها أن الأتراك لم يقبلوا الإسلام بشكل جماعي.

على الرغم من أن تركستان الشرقية تظهر جغرافيًا شرق تركستان، إلا أن لها حدودًا طبيعية مع تركستان الغربية. إذ يذكر في بعض المصادر أن كاشغر، إحدى أهم مدن تركستان الشرقية، التقت بالإسلام في العصر الأموي. وفي هذا المقام يأتي قتيبة بن مسلم الباهلي (ت 96هـ/715م) وقادة حرب طالاس⁵⁵ في رأس الحاضرين في الذاكرة التاريخية؛ حيث يتضمن تاريخ الطبري (ت 310هـ/923م)⁵⁶ الجمل التالية حول كاشغر: "تقدم قتيبة بن مسلم إلى منطقة فرغانة في 96هـ/715،

⁵⁵ الحرب التي انتصر فيها العرب المسلمون والأتراك في مدينة طالاس بتركستان على جيوش الصين، وذلك عام 133هـ/752م.

⁵⁶ الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر، مفسر ومؤرخ وفقهه، ولقب بإمام المفسرين، ولد بأمل عاصمة إقليم طبرستان.

وأخذ كاشغر من الصينيين، الذين كانوا يحتلونّها منذ 629⁵⁷. ويذكر في بعض المصادر العربية: أن "أسلم أهل ياركند وخوتن بجوار كاشغر بعملية الفتح للقتيبة"⁵⁸.

بعد حوالي 40 عامًا، عُرف أن إمبراطورية الأويغور سيطرت على المنطقة. وبعد انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين تقدم الصينيون، الذين استولوا على بعض مناطق تركستان الشرقية خلال الفترة الأموية، إلى تركستان الغربية، وأطلقوا رحلة استكشافية إلى منطقة ما وراء النهر التي كانت تحت تأثير الأمويين. وفي عام 133هـ/751م دخل الجيش العربي بقيادة القائد العباسي زياد بن صالح (ت 135هـ/752م)⁵⁹ وجيش تانغ⁶⁰ الصيني في معركة ميدانية حول نهر طالاس، وهُزمت القوات الصينية بشدة من خلال تعاون الأتراك مع الجيش العربي الإسلامي.⁶¹

وفي هذا السياق، قال ابن الأثير (ت 637هـ/1239م)، الذي قدم معلومات مهمة حول سبب ونتائج الحرب: "إنه عندما كان هناك صراع بين فرغانة إخشيدية وحاكم طشقند (شاش)، طلب الملك الإخشيدي المساعدة من الإمبراطور الصيني، وفي مقابل ذلك أرسل إليه جيشًا قوامه 100,000 شخص. عندما سمع أبو مسلم⁶² والي خراسان العباسي أن الجيش الصيني قد وصل، أرسل زياد بن صالح ليقود الجيش الإسلامي العربي التركي عليهم، وانتصر المسلمون في الحرب.⁶³ بذلك تمكن الأتراك من فرصة التعرّف على الإسلام والمسلمين، وطرد الصينيين من منطقة تركستان إلى داخل سور الصين العظيم. وعاد النفوذ التركي الذي اهتز في تركستان.

⁵⁷ الطبري، أبو الفضل، تاريخ الطبري، ج6، ص496-500. HITCHINS.

⁵⁸ أبو مصعب، 'فتح كاشغر'، منتديات الصحيح 2010، .

⁵⁹ الحارثي، زياد بن صالح، من أمراء الدولة العباسية، وأحد القادة الشجعان. كان والي الكوفة عند قيام العباسيين في خراسان.

⁶⁰ سلالة تانغ الصينية الحاكمة ما بين 618-906م، كانت إحدى السلالات الحاكمة في الصين الوسطى.

⁶¹ ينظر طاشاغل، أحمد، حرب طالاس، موسوعة الإسلام لوقف الشؤون الديانة التركية. ج39، ص501. 2010. إسطنبول.

Ahmet Aşağıl. Karahanlılar, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2010, İstanbul, c39, s501.

⁶² أبو مسلم الخراساني هو عبد الرحمن بن مسلم، أو إبراهيم (وهو اسم آخر له)، وهو من كبار الدولة العباسية، قتل عام 755م.

⁶³ المرجع السابق.

نتيجة لهذه الحرب، لم يتحدد مصير تركستان فحسب، بل وأيضاً قد أخذ مستوى أكثر تقدماً من أن معرفة الأتراك بالإسلام. وعلى الرغم من ذلك فقد استغرق الأتراك القرن العاشر لقبول الإسلام بشكل جماعي؛ أسست قبيلة القارلوق دولتهم المستقلة في منطقة الجبال السماوية (جبال تانري) في عام 766، على ما يؤكد بعض الباحثين أنها من خلال الاستفادة من البيئة المضطربة التي عاشها إمبراطورية الأويغور بسبب الحروب المختلفة من غزو بلاساغون وطلاس (طراز)، لكنهم استمروا في الاعتراف بحاكمية الأويغور حتى عام 840. مهدت هذه البيئة السياسية الجديدة والتحركات السكانية الطريق لتشكيل دولة القره خانية.⁶⁴ وانكشفت القوات العربية إلى ما وراء النهر من تركستان بعد تأسيسها تدريجياً.

ومن جانب آخر، أثرت أنشطة حركة الترجمة التي بدأت في عهد أبي جعفر المنصور (754-775)، وحركة التواصل التي أثرت في تشكيل المذهب الحنفي. كما أن اكتسبت حركة الترجمة التي بدأت ببعض الجهود الشخصية في العصر الأموي سرعة بالغة في عهد المنصور، فجمع الكتاب باللغة العربية لجعل مدينة بغداد الجديدة مركزاً للعلم؛ فجاءت كثير من أهل ماوراء النهر وتركستان للمشاركة في حركة الترجمة، وهكذا تعرفوا على المذهب الحنفي حظوا به والمعرفة الإسلامية، والانفتاح إلى مناقشة الحضارة التركية وتطويرة للتدوين الفقهي بشكل كبير كبقية العلوم الإسلامية.

فنتيجة هذه الحركة المباركة بدأ الأتراك بترجمة القرآن الكريم وغيرها من المصادر الإسلامية الأساسية إلى اللغة التركية، فمثلاً: وجد مخطوط باسم "القرآن الكريم بين الأسطور/ بين سطر وسطر"، قام المترجم بترجمة معاني الآيات كلمة كلمة بين الأسطور.⁶⁵

⁶⁴ الأسرة التركية الإسلامية التي حكمت بلاد ما وراء النهر وتركستان الشرقية ما بين العام (840-1212) الميلادي. يكتب اسمه

بالعربية في المصادر التاريخية بـ "القره خانية"، والقراخانية أو "القاراخانية"، وأنا أعتمد على الأخير. Ahmet Aşağıl.

Karahanlılar, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2010, İstanbul, c39, s501.

⁶⁵ هدى درويش، دور التصوف الإسلامي في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز. ص 6. ط 1. معهد الدراسات الآسيوية،

جامعة الرقازيق. مصر، 2004.

وهنا عوامل أخرى، أن الخلفاء العباسيين، خاصة هارون الرشيد دعوا الأتراك إلى بغداد وأعطوهم من الهدايا ليؤلف قلوبهم، فيسلمون، وهناك طريقة أخرى لحث الأتراك للدخول في الإسلام، أن المعتصم بالله أخذ الجيش من الأتراك لكونهم أقوى وأبطش في الحروب، فهؤلاء الجيوش الأتراك قد أسلموا بلا شك.⁶⁶

المطلب الثاني

مرحلة أسلمة الدولة القاراخانية

بعد معركة طالاس، أقام الأتراك الذين يعيشون في حياة انتقالية ومستقرة وكانوا يؤمنون بالديانات الشامانية⁶⁷ والبوذية⁶⁸ والمانية⁶⁹ في تركستان وأقاموا علاقات تجارية جيدة وصدقة مع المسلمين العرب. حاول العباسيون شرح الإسلام للأتراك بطريقة أكثر ليونة وسلسة، وليس بالحرب أو القوة مثل الأمويين. وبدأ الأتراك الذين أتيحت لهم الفرصة للتعرف على الإسلام عن كثب من خلال لقاء المسلمين، في التحوّل تدريجياً إلى مسلمين. "هذه العملية، التي بدأ فيها اندماج الإسلام بين الأتراك، ليست حدثاً بسيطاً، ولكن لها العديد من الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية؛ يشير أيضاً إلى حدث مختلط يحدث على مدار فترة زمنية طويلة وفي منطقة جغرافية واسعة".⁷⁰

⁶⁶ المرجع السابق. ص 7.

⁶⁷ الشامانية هي أقدم نظام عقائدي. وهي الديانة القديمة للأتراك والمغول والأقوام الرحالة الآسيويين. ويرى أنه يتوسط بين الأرواح والناس ولديه القدرة على شفاء المرضى.

⁶⁸ البوذية هي دين يضم أكثر من 500 مليون متابع حول العالم اليوم. أسسها سيدهارتا جوتاما، المعروف اليوم باسم بوذا، الذي يقدر أنه عاش بين 563 قبل الميلاد و 483 قبل الميلاد.

⁶⁹ إنه دين أسسه ماني (الشخص الذي أنشأه) وانتشر بسرعة داخل الإمبراطورية الفارسية في القرن الثالث وانتشر على نطاق جغرافي كبير. كتابهم المقدس هو Arzhang. شهد دين ماني ذروته عندما تم إعلان كدين وطني لدولة الأويغور في القرن الثامن. كلمة ماني تعني "منغو" في التركية القديمة و "الإله" في تشاغاتاي التركية.

⁷⁰ GÜNEŞ Caneyt, *Türklerin İslamlaşma Süreci Kaynaklarına Genel Bir Bakış*, Mavi Atlas GŞÜ Edebiyat Fakültesi Dergisi, Bahar 2014, S. 2. S. 102.

عندما استولى إسماعيل بن أحمد⁷¹ (ت 907م) الحاكم الساماني (906/293-943/331) على طالاس، مركز القاراخانيين الشرقيين، في محرم في 280 هجرية (مارس - أبريل 893)، تحول معظم الأمراء والمزارعين الأتراك هناك إلى الإسلام. نقل قادر خان أوغولجاك⁷² عاصمته إلى كاشغر بعد هذه التطورات.⁷³ وفي وقت لاحق، أخذ الخاقان أوغولجاك، الذي استغل النزاعات الداخلية بين السامانيين وهاجم الأراضي السامانية، وصار الأمير الساماني المسمى أبو نصر تحت حمايته.⁷⁴ وأسلم الأمير ساتوق بوغرى ابن شقيق أوغولجاك، الذي أطلق عليه اسم عبد الكريم. وكان على اتصال وثيق بمسلمين مثل أبو نصر وأبو الحسن محمد بن سفيان الكلماقي (ت 349) في عام 945.⁷⁵

في هذه الفترة، دخل الخاقان عبد الكريم ساتوق بوغرى بعد إسلامه مع عمه أوغولجاك في الصراع السلطوي، ونجح فيه على العرش، وأعلن أن دين الدولة للقاراخانيين هو الإسلام. قاتل ساتوق بوغرا خان الأتراك غير المسلمين لفترة طويلة. وعلى الرغم من بعض القبائل التركية التي لم تقبل الإسلام نجحت في الاستيلاء على بالاساغون في عام 942، إلا أن ساتوق بوغرا خان استطاع استعادة بالاساغون نتيجة لنضاله في وقت لاحق.⁷⁶ وبعد اعتناقه الإسلام، تحول الصراع بين الدولة السامانية والدولة القاراخانية إلى صداقة وتعاون. ومن المعروف أيضاً أن القاراخانيين كان لهم علاقات وثيقة مع العباسيين، وكذلك مع الصوفيين الذين قدموا مساهمات مهمة في هذه العملية. يُعرف أنه الخاقان ناصر بأنه أول

⁷¹ أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد ساماني، سلطان الدولة السامانية، وكان له علاقة قوية مع العباسيين.

⁷² Kul Bilge Kadir Khan أو Bilge Kul Kadir Khan. مؤسس الدولة القاراخانية. بعد انهيار دولة الأويغور من قبل قيرغيزستان

عام 840، تم تأسيس الدولة القاراخانية تحت قيادة كول بيلج قادر خان.

⁷³ Abdülkerim Özaydın, *Karahanlılar*, TDV İslam ansiklopedisi, 2001.

<https://islamansiklopedisi.org.tr/karahanlilar>

⁷⁴ السمعاني، الإنصاف. ج 10، ص 458-459.

⁷⁵ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 82-84. وفي رزايات أخرى: تحقق إسلام ساتوق بوغرى في عام 922 أو 932.

لمزيد من التفاصيل: ينظر عبد الكريم أوزايدن، القاراخانيون. موسوعة الإسلام. TDV.

Abdülkerim, ÖZAYDIN, *Karahanlılar*, TDV İslam ansiklopedisi. <https://islamansiklopedisi.org.tr/karahanlilar>

⁷⁶ المرجع السابق.

قاراخاني يعترف بالخليفة العباسي قادر بالله خلال الوقت الذي كان فيه على رأس القاراخانيين. ثم توسط محمود الغزنوي بأنه أبرم اتفاقاً مع العباسيين لإقامة علاقات الخلافة العباسية مع القاراخانيين.⁷⁷

وجدت الطائفة الصوفية بيتتها الأكثر حيوية في تركستان منذ القرن الحادي عشر، وأسهم في انتشار الإسلام والدعوة الإسلامية بين شعوب تركستان. ولقد تسبب في اهتزاز البلدان التركية الإسلامية في مختلف الطوائف الصوفية عبر التاريخ الإسلامي التركي. وقد تُرجم القرآن إلى التركية القاراخانية، وبقيت هذه الترجمة حتى يومنا هذا، وعُرف أن القرآن الكريم تمت ترجمته إلى التركية في زمن مبكر.⁷⁸

المطلب الثالث

مرحلة إتمام أسلمة الأويغور بالكامل في العهد المغولي وما بعده:

قد لا يعني اكتمال أسلمة القاراخانيين قبول تمام الشعوب التركية الإسلام في تركستان الإسلام؛ فهناك قبائل تركية لم تدخل في الإسلام كالأتراك في خارج سيطرة الدولة القاراخانية، خاصة الأويغور في الدولة الأورخونية، الذين ما زالوا على المعتقدات الدينية المختلفة كالمسيحية النستورية والمانية والبوذية، وفي حين يواصل القاراخانيون الجهاد والدعوة الإسلامية إلى هذه الجهة؛ جاء الاستيلاء المغولي سحفاً لسلطنتهم. وضمت الدولة القاراخانية والأورخونية الأويغورية التي ظلت على الديانات السابقة إلى إمبراطوريتهم في بداية القرن الثالث عشر الميلادي.⁷⁹

⁷⁷ المرجع السابق.

⁷⁸ المرجع السابق.

⁷⁹ المرجع السابق.

بعد تأسيس إمبراطورية جنكيز خان،⁸⁰ قسّم الأراضي التي سيطر عليها بين أبنائه الأربعة وأعطى هيمنة تركستان لابنه الثاني جغتاي (ت 1242م) (1226 حكمه إلى 1242 م). وسميت المناطق التي التي كان يحكمها الخانات الجغتائية، وكانت فترة حكمها 1227-1370م.

بحلول منتصف القرن الرابع عشر، اعتنق المغول الإسلام أيضًا.⁸¹ ومع تحوّل المغول إلى الإسلام، اعتنقت القبائل التركية غير المسلمة في المناطق الشرقية والشمالية من تركستان الشرقية الإسلام، وازدهر الإسلام بقوة حتى نهاية الخانات الجغتائية. وهكذا قد اكتملت عملية الأسلمة، التي بدأت منذ حوالي أربعة قرون في تركستان الشرقية.

وخلال الفترة التيمورية (1370-1507)، كانت الأراضي التي تحت حكم الأسرة التيمورية هي نفس الجغرافية التي كانت تنتمي إلى الخانات الجغتائية. في هذه الفترة التي شهدت العديد من الحروب والثورات السياسية، ونهض شعب تركستان الشرقية دينيًا واستقرًا. في واقع الأمر، على حد تعبير ابن عرب شاه،⁸² "فضل القانون التيموري على الشريعة".⁸³ ويشير المؤرخون التيموريون إلى ابنه شاهروح كحاكم ملتزم بالشريعة. على عكس والده، وقلد أولوغ بك جده تيمور في إدارة الدولة. وأظهر الحكام بعد أولوغ باي اهتمامًا أكبر برجال الدين من أجل استغلال هيمنة التأثير الإسلامي، خاصة المذهب الحنفي، عبر الحفاظ عليه وتطوير دوره في المجتمع التركستاني.

⁸⁰ اسمه تيموتشن (1165-1227م)، هو مؤسس وإمبراطور الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ ككتلة واحدة بعد وفاته. برز بعد توحيد عدة قبائل رحل لشمال شرق آسيا. فبعد إنشائه إمبراطورية المغول وتسميته "بجنكيز خان" بدأ بحملاته العسكرية فهاجم الدولة الفارخانية والدولة الخوارزمية.

⁸¹ KEMAL ERASLAN, 'AHMED YESEVÎ', *TDV İslam Ansiklopedisi*, 1989, pp. 159-61.

⁸² صاحب الكتاب "عجائب المقدور في أخبار تيمور". توفي عام 854هـ.

⁸³ İsmail Aka, 'Timurlular', *TDV İslam Ansiklopedisi*, 2012.

المطلب الرابع

المذهب الحنفي وعوامل قبول أترك الأويغور الإسلام

كما سقناه في السابق لم تكن أسلمة أترك الأويغور بدفعة واحدة كجيرانها من منطقة خراسان وماوراء النهر وتركستان، وإنما أسلم الشعب التركستاني في المراحل على التوالي. وفي أسلمتهم هناك عوامل من الجانب المجتمع التركستاني ومن الجانب المجتمع الإسلامي. وفي بيان هذه العوامل يمكننا أن نقول:

أولاً: العوامل وأسباب التأخر في أسلمة الشعب التركستاني من الجانب الإسلامي

قد يمكننا النظر في العوامل التي لعبت في أسلمة الشعب التركستاني من عدة نواحي، ولا يمكن الحصر فيها، فنقول: من ضمن هذه العوامل:

1. الصراع الداخلي وكثرة المعارضة السياسية في المجتمع الإسلامي: قد يرى المتأمل فيما سجله المؤرخون حول القرن الثاني الهجري، الذي بلغ فيه الإسلام إلى بلاد الأترك من الزمان أنّ الأحداث السياسية في داخل المجتمع الإسلامي لم تكن صغيرة الحجم، بل كثرت الوقائع واختلاف الأجناس بين القوميات حديث العهد بالإسلام. كما يمكن أن نرى، أن كانت السنوات الأولى للإمام أبي حنيفة رحمه الله فترة انتفاضات وصراعات. وبهذه الصراعات قد تراجعت الفتوحات الإسلامية والإنجازات العسكرية التي توسعت إلى بلاد الأترك من الشرق وإلى بلاد البنزطيين والأرمن من الشمال وحتى إلى بلاد الأندلس من جهة الغرب. وقد التحمت الفوضى السياسية داخل المجتمع بين أطراف القوى المتنازعة للسلطة وبين الفرق العقدية التي تحاول تفكيك شمل الدولة ووحدة الأمة المتشكلة لفترة مدتها حوالي مئة سنة، ابتداءً من نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين.

2. العامل الاجتماعي السياسي في المجتمع وحنكة الأحناف: ساد المجتمع الإسلامي انتشار البدع في الاعتقاد التي بدأت من أواخر عهد الخلفاء الراشدين، حتى حملت بعض السلطات

الناس على هذه البدع في تلك الفترة. كما قال ابن عبد الحكم: "سمعت الشافعي يقول: لما ولي يزيد بن الوليد دعا الناس إلى القدر وحملهم عليه"،⁸⁴ فدعت الحاجة الاجتماعية إلى فكرة جامعة تجمع أغلبية الأمة؛ فظهر شخصيات الفقهاء الأحناف بمواقفهم السياسية والاجتماعية في السلطة والمجتمع؛ أدى إلى تشكّل المذهب الحنفي كاتجاه فقهي، لتنزيل النصوص الشرعية على الواقع السياسي والاجتماعي بدون إعاقه أو ميوعة، وانفتاح سليم عبر التقارب بين الفرق المتخاصمة بأسلوب الجدل والمناظرات المتجادلين والرأي والاجتهاد للمستفتين. كما جدد ظهور المذهب الحنفي المراجعة إلى الأدلة التي تستند عليها كل فرقة أو طائفة لشرعنة تحركاتها السياسية،⁸⁵ مع الرد على أباطيل الأديان للأتراك غير المسلمين. ومن ثم يتبين أماننا خصائص المذهب في حل مشاكل نازلة في واقع تلك الفترة الحساسة سياسياً، وليكسب شعبيته بين السلطات والرعايا، فمجمّلها كالتالي:

أ. المرونة والسلاسة في فهم النصوص الشرعية، على عكس أغلب فقهاء أهل الحجاز. وكانت هذه جاذبا للأتراك غير المسلمين.

ب. الانفتاح للمناظرة والحوار العلمي نحو الفرق الضالة والمضلة، كالخوارج والمرجئة والجهمية والقدرية وغيرها، كذلك للمتدينين بغير الإسلام.

ت. كونه مذهب جماعة ودولة، وليس مذهب فرد: إذ كان له نفوذ قوي في دوائر الدولة، والجنود وولاية الأطراف.

ث. تدريب الإمام أصحابه على استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، ونضجت مهارة وعقول أصحابه المجتهدين في الأحكام ومشروعيتهم من قبل الناس.

ج. شدة المنافسة بين المدرستين، الرأي والاجتهاد التي يمثلها أهل العراق، والجمهور التي يمثلها أهل الحجاز.

⁸⁴ الذهبي، أبي عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، (ت 748 هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، بتحقيق: عمر عبد السلام التدمري، ج8، ص312، دار الكتاب العربي، ط2، (1413 هـ - 1993 م).

⁸⁵ اكتفيت بالإشارة إلى أحسن ما جاء في هذا المقام هو ما ذكره الإمام محمد أبو زهرة في كتابه أبو حنيفة؛ حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ص 407-410.

3. استقامة المواقف السياسية للإمام أبي حنيفة كممثل لمذهبه في شؤون الدولة السياسية: ربما هذا من أكثر ما نجده في روايات كتب التاريخ والسير التي سجلت مواقف الإمام أبي حنيفة السياسية. قد يمكن لنا تلخيص أهم ما يتعلق بموضوعنا هنا، وينبغي وقوفنا عندها بالفقرة الآتية:

أ. إنّ الإمام أبا حنيفة رحمه الله تعالى لم تظهر مواقفه المضادة للأُمويّين بشكلٍ جليٍّ إلا بعد ثورة زيد بن عليّ رضي الله عنه، كما ذكر في الفقرة السابقة. وفي هذا إشارة إلى أنّه لم يكن منهجه أن يُنازع الأمرَ أهله، لكن حين يصيرُ الخيارُ متاحًا بين اثنين، حاكم ظالم لا يُنكرُ ظلمه، وحاكمٍ يُرجى عدله فإنّ العاقل الموقّق من يميل إلى العادل وينأى بنفسه عن مناصرة الظالم أو الوقوف في صفّه. كما جاء "أنّ الإمام زيد بن عليّ أرسل إلى الإمام أبي حنيفة يدعوهُ إلى مساندته".⁸⁶

ب. ورع الإمام من توافد أبواب السلاطين، بمعنى أنه امتنع رحمه الله تعالى من وظيفة الختّام (صاحب الخاتم) لابن هبيرة (ت 107هـ) والي الكوفة في زمن بني أمية أبرز شخصياته وأشهر صيته إلى الآفاق؛⁸⁷ حيث قال: "لو أراد أن أعد له أبواب واسط لم أدخل في ذلك، فكيف هو يريد مني أن يكتب دم رجل يضرب عنقه وأختم أنا على الكتاب؟، فوالله لا أدخل في ذلك أبدًا.."، ثم هروبه إلى مكة حتى تصير السلطة إلى العباسيين.⁸⁸

ت. توتر السلطة الأموية ربما يعد من الفرص السانحة لشجاعة الإمام أبي حنيفة في النقد وإيصال فكرته إلى نطاق أوسع، لأنّ الحكّام والأمراء لم يستطيعوا إيذاء أبي حنيفة مع اشتهار دعمه للثورات، وذلك بسبب تضعُّع الدولة الأمويّة في ذلك الوقت. كما يقول الدكتور أيمن الجمال: "ولعلّ أبا حنيفة رضي الله عنه بنى موقفه في دعم الإمام زيد على

⁸⁶ لمزيد من التفاصيل ينظر أبي زهرة، أبو حنيفة؛ حياته وعصره، آراءه وفقهه، ص 32.

⁸⁷ لمزيد من التفاصيل في الموضوع ينظر الدينوري، أبو الحسن. مناقب الإمام أبي حنيفة، تحقيق شعبان كوتوك. مجلة تحقيق

مخطوطات العلوم الإسلامية والنشر، ج 1، ص 110، العدد 2/3، ديسمبر 2020.

Kütük, Şaban. "Ebu'l-Hasen ed-Dîneverî'nin Menâkıbu Ebî Hanîfe Adlı Eserinin Tahkik ve Değerlendirmesi Tahkik İslami İlimler Araştırma ve Neşir Dergisi 3/2 (Aralık/December 2020): 1-110.

⁸⁸ ولتفاصيل القصة ينظر المرجع السابق.

هذا الأمر، فلمّا رآه من تخلخل أمور الحكم أيّد حاكمًا جديدًا يضبطُ أمورَ البلاد والعباد".⁸⁹

ث. إمام الإمام أبي حنيفة وأصحابه بالفقه والاستدلال بالنصوص الشرعية قد جنبهم من وقوعهم في الفتن ومنازعات السلطة السياسية إلا بعد الحسم السياسي وضبط السلطة للحكام؛ فهذا مما أدى إلى إتقان فتاواهم السياسية وإقناع الخلق الكثير في المجتمع؛ إذ أنّ الإمام أبا حنيفة لم يشترك فعلاً بـ(حمل السيف) في القتال مع المقاتلين، وكان أصحابه يشتغلون باستنباط الأحكام وتلقين الدروس وترويج الحلقات العلمية والاستفتائية للعموم، كما اشتغل الإمام محمد بإنجاز مهمات التدوين لتلك الفتاوى والاستنتاجات العلمية.⁹⁰

ج. حنكة الإمام أبي حنيفة وأصحابه في سياسات متقلبة للسلطة الأموية والعباسية وريادتهم في منصب القضاء والخطابة: وهذا أيضاً لعب دوراً هاماً في تشكل المذهب الحنفي. كما نرى مواقف الإمام ضد الظلم والطغيان تارة، وبدعوته إلى تماسك المجتمع بطاعة ولي الأمر تارة أخرى. على سبيل المثال: رغم جرأة الإمام أبي حنيفة في نقد أصحاب السلطة العباسيين وموقفه مع أبي جعفر المنصور برفضه منصب القضاء له؛ فإنه ارتاح في هذا العهد بالنسبة إلى العهد الأموي. حتى نرى من خلال خطبه العلنية ودروسه تحريضاً في الطاعة وملازمة الجماعة.

4. نفوذ المذهب الحنفي السياسي في السلطة السياسية؛ قد برز هذا كعامل أساسي في تمكن وترسخ المذهب الحنفي في التعارف بين الشعب التركستاني والمجتمع الإسلامي، وذلك من خلال إقدام الإمام أبي حنيفة إلى الفتاوى السياسية عبر منابر الحلقات العلمية وخطب الجمعة. كما لا يفوتنا دوره في أن تولية الخلفاء العباسيين الثلاثة؛ المهدي والهادي والرشيد الإمام أبي يوسف على منصب القضاء ومشاركته في السلطة التشريعية للدولة؛ ومن ثم أصبح

⁸⁹ الجمال، محمد أيمن، الإمام أبو حنيفة وفقه الثورة، المجلس الإسلامي السوري، 2020. تاريخ الحصول: 3 ديسمبر 2021.

موقع الويب: <https://sy-sic.com/?p=7860>

⁹⁰ أبو الفرج الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني القرشي (ت 356 هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق:

السيد أحمد صقر، ص 141، ط 1، دار المعرفة، بيروت.

إصدار فتوى منه أو حكم قضائي له كلسان الدولة الذي يصل إلى جميع أطرافها. بالإضافة إلى نفوذه وسلطاته في تولية قضاة على الولايات وعلى كل أقطار الخلافة العباسية. كما يقال في هذا المقام إن الإمام أبا يوسف "لا يولي إلا أصحابه المنتسبين إلى مذهبه".⁹¹

5. نشاط التدوين الفقهي: وهو سبب رئيسي آخر لتمكين المذهب الحنفي في التأسيس وانتشاره إلى الآفاق، خاصة في منطقة ماوراء النهر وتركستان؛ لأن فقه أبي حنيفة وأصحابه بدأ يتجمع من زمانهم المبكر، وانتقل هذا النشاط إلى تلك المناطق بشكل متزايد فيما بعد.⁹²

ثانيا: العوامل الخارجية في أسلمة الشعب التركستاني

من البديهي أن كانت هناك عوامل خارجية أخرى انعكست في أسلمة الشعب التركستاني، أو أثرت في تطور الإسلام لديهم من الخارج، كما لعبت العوامل السياسية في تشكل المذهب الحنفي في داخل الدولة. ومن خلال الاستقراء في الموضوع قد نستطيع إيجاز الكلام هنا كالآتي:

1. إن اتساع الرقعة الإسلامية واحتكاك الدعوة الإسلامية لثقافتهم: كما أشرنا في الفقرة السابقة إلى أن الفتوحات الإسلامية قد توسعت شرقا وغربا في بداية عصر الإمام أبي حنيفة ثم تراجعت بسبب الأزمات السياسية في مركز السلطة السياسية، وهذا أدى إلى تذبذبات في مجتمعات لحقت برقعة الجغرافية الإسلامية، وحدثت الثغرات العقيدة وفهم النصوص الشرعية. فذلك تطورت الفلسفة لدى الأتراك أكثر من العرب، وأنجبوا علماء جهابذة كالفارابي وابن سينا والبيروني. وشهد المذهب الحنفي على مداخلات أجنبية كاللغات من الفارسية والتركية وغيرها، أو الثقافات الدخيلة من العادات والعرف التي أعطى لها أوائل المذهب مكانة واعتبارات لم يكن مثلها سابقاً.⁹³ كما من الممكن إقامة علاقة بين فهم الحنفية في فهمهم للإجماع السكوتي ودليل العرف العام، من الممكن

⁹¹ محمد إبراهيم أحمد علي؛ علي بن محمد بن عبد العزيز الحنبلي. المذهب عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، تحقيق محمد حامد النصر، مجلة الوعي الإسلامي الكويتي، الإصدار الخامس والأربعون، ص26. 2017م/ 1438هـ.

⁹² Bardakoğlu, Ali, Hanefi Mezhebi, TDV İslâm Ansiklopedisi, 16. cildinde, s 21-27. İstanbul 1997.

⁹³ Bardakoğlu, Ali. Hanefi Mezhebi, TDV İslâm Ansiklopedisi, 16. cildinde, s 21-27. İstanbul 1997.

أيضاً رؤية آثار العادات العربية في تدوين المصادر الفقهية للمذهب، وخاصة آثار عرف وعادات أهل ما وراء النهر في فترة المشايخ.

على سبيل المثال، عندهم مفهوم "تخصيص العام بالعرف، وتوزيع العادات والعام، وفهمهم للولاية في الزواج، ورؤية العقل كتجمع اجتماعي مهني، وجعلهم ذوي الأرحام ورثةً، وسلوكهم بمساواة أكثر في تثبيت حقوق الأقليات، فهي حقائق اجتماعية ونتيجة لما أعطوهم من أهمية لعادات المنطقة.⁹⁴ وقد أثرت هذه المداخل في استدلالاتهم بالإجماع والقياس والقول الصحابي، خاصة في اهتمامهم وترسيخهم للاستحسان كأحد أدلة الأحكام.

2. أنشطة حركة الترجمة وحركة الاتصال بالفلسفة في عهد أبي جعفر المنصور (754-775): قد تعتبر هذه الحركة من أبرز العوامل السياسية التي أثرت في تشكيل المذهب الحنفي. كما أن اكتسبت حركة الترجمة التي بدأت ببعض الجهود الشخصية في العصر الأموي سرعة بالغة في عهد المنصور، وهو الخليفة العباسي الثاني الذي أسس بغداد، هو أيضاً المؤسس الحقيقي للدولة العباسية، بمعنى أنه هو الذي وضع أسس السياسات التي ضمنت بقاء الخلافة العباسية على المدى الطويل، فجمع الكُتّاب العرب باللغة العربية لجعل مدينة بغداد الجديدة مركزاً للعلم، وشرعت حركة الترجمة في أخذ مكانتها من هذه السياسة. وقد حظي المذهب بشكل عام مما حظيت به المعرفة الإسلامية، والانفتاح إلى مناقشة الحضارة اليونانية وتطويره للتدوين الفقهي بشكل كبير كبقية العلوم الإسلامية.

3. تأثير الديانات الأخرى في تماسك الشعب التركستاني بالمذهب الحنفي: كما ذكرناه في مقدمة البحث أن العراق كانت منبعاً للنحل والملل، لأنها ملتقى العرب والأتراك والفرس. وظلت حينها ذات الثقافات المتعددة التي أثرت في نضج الحوار العلمي بين الإمام أبي حنيفة ومثلي الفرق الأخرى؛ وكانت هذه العوامل تؤثر في تشكيل المذهب الحنفي، كتأثير الديانات الأخرى من الخارج. وقد أثرت إثارة اليهودية والمسيحية والمجوسية لتساؤلات عقدية وأخرى في الأحكام الشرعية، وإغارتها

⁹⁴ المرجع السابق.

لعقول العامة نحو الشكوك في أحكام أهل الذمة والخراج والعلاقات الدولية في عمق المجتمع أدى إلى مقاومة علمية وبقوة ناعمة تستند على مبادئ الشريعة.⁹⁵

فمبادرة أئمة الأحناف بالرد المناسب في جميع المسائل المطروحة أو الافتراضية؛ قد أضفى في شرعنة المذهب الحنفي في المجتمع التركستاني آنذاك، وجذب أنظار متعلمي الإسلام فيه. كذلك تبرز حقيقة هذا التأثير في تسامح الأحناف في العلاقات مع الأديان في ما وراء النهر وبلاد الأتراك التي تتمسك حينها بديانة البوذية والمانية. ويُعد هذا أيضا مما أبرز القدرة العلمية والاجتهادية ومهارتهم وإتقانهم في استنباط الأحكام الشرعية لمؤسسي المذهب الحنفي بالنسبة على غرار ممثلي تلك الديانات المغايرة للإسلام في القرن الثاني والثالث الهجري.

⁹⁵ كما يقول الدكتور الحسن الشافعي: "وإن ادعى معظم المتكلمين في نشأة الفرق السياسية والكلامية في أنها النتاج الخالص للمسلمين، ومما لا فيه أن المتكلمين في وسط فلسفي وأمام هجمات فلسفية من أديان مختلفة...". لمزيد من التفاصيل ينظر الشافعي، الحسن. المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط4، ص50، مكتبة وهبة، القاهرة، 2013.

المبحث الثاني

دور المذهب الحنفي في الحقب التاريخية لتركستان الشرقية

يتناول هذا المبحث التأريخ الموجز للإسلام والمذهب الحنفي في تركستان. وذلك كالتالي:

المطلب الأول

دور المذهب الحنفي في عهد الدولة القاراخانية

قد ازدهر العهد القاراخاني بأنواع العلوم الدينية والدنيوية وتنوع الثقافات بين الشعوب التركية، وكذلك في تقنين الإدارة السلطوية والعلاقات مع الدول المجاورة. كما ذكرنا في المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد جاء الإسلام إلى الإقليم بدعاة الصوفيين بماء النهر، لكون المنطقة واحدة جغرافياً، ومختلفة كسيادة السلطة، منقسمة بين الدولة القاراخانية التي تمثل القوة السياسية للأتراك وبين الدولة السامانية من الأصول الفارسية التي تمثل الإسلام والعلاقات التجارية مع مركز الخلافة العباسية. لا شك في أن المذهب الحنفي وشخصياته البارزة كان على رأس العوامل المؤثرة في هذا الازدهار للدول القاراخانية، والذي لعب أدواراً هامة في تطور الدعوة الإسلامية في المنطقة وتقدم الدولة القاراخانية. من ناحية السياسة والناحية العلمية والاجتماعية والثقافية. ومن أهم هذه الأدوار:

1. دور المذهب الحنفي في أسلمة قادة الدولة القاراخانية: في حين بدأ الاحتكاك الفكري بين المسلمين الأتراك والأتراك غير المسلمين فيأتي في البداية حادثة المنازعة السلطوية في الدولة القاراخانية بين خاقان الدولة أوغولجاك وابن عمه الأمير ساتوق بوغرى خان؛ ففي هذه النقطة يتحقق دور أبي نصر الساماني في عرضه الإسلام على الأمير ساتوق بوغرى خان، ويدخل هو وأصحابه في الإسلام على يده، الذي أطلق عليه اسم عبد الكريم، وهو الذي يذكر أنه كان

يتشبث بفقّه أبي حنيفة مذهبه الحنفي، وقرب الفقهاء الأحناف إلى نفسه.⁹⁶ وبعد إسلامه نجح بالقتال مع عمه أوجولجاك وسيطرة الدولة القاراخانية؛ حاول نشر الإسلام في الأراضي الغربية من القاراخانيين. عرف باسم المجاهد والغازي، وحارب الأتراك غير المسلمين لفترة طويلة. وكان الأتراك غير المسلمين قد استولوا على مدينة بالاساغون في عام 942، لكن ساتوك بوغرا خان تمكن لاحقاً من استعادتها.⁹⁷

2. دور المذهب الحنفي في تطور العلوم الإسلامية في العهد القاراخاني: يعدّ العهد القاراخاني من أكثر الفترات ازدهاراً وتقدماً في العلوم، حيث أنجب الفقهاء والمحدثين والمفسرين والفلاسفة وحتى علم الفضاء والجغرافيا. وبالتالي نذكر أبرز الممثلين لكل من:

أ. علم اللغة العربية والأدب والنحو: برز العشرات من جهابذة علماء اللغة العربية والنحو في بلاد تركستان وماوراء النهر، نذكر منهم: أبو بكر علي بن إسماعيل الشاشي القفال الكبير (ت365هـ/975م)، كان إمام عصره في البلاد وأعلمهم بالأصول والتفسير والحديث والأدب.⁹⁸ ومحمود بن حسن الكاشغري (ت499هـ/1105م) قد برع في تأليف القاموس التركي المقارن باللغة العربية،⁹⁹ وأهدى كتابه هذا للخليفة العباسي القادر بالله. أبو نصر الفارابي (ت393هـ/1002م) الذي يعتبر أفخر علماء الإسلام، حيث يعدّ إماماً في اللغة والأدب، وألف في الطب والمنطق والفلسفة بالإضافة إلى براعته في الخط والتأليف، وكثرة ترحاله إلى مدن العلم والعلماء.

ب. الفقه والعقيدة في العهد القاراخاني: تطور الفقه إلى حد أن تأسس مدرسة حنفية تتميز ببراعة القياس ومرونة التطبيق. تعرف هذه المدرسة بمشايع سمرقند،¹⁰⁰ وعلى رأسها أبي منصور

⁹⁶ ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص82-84. يروى في بعض المصادر أنه أسلم 922 أو 932.

<https://islamansiklopedisi.org.tr/karahanlilar>

⁹⁷ ينظر عبد الكريم أوزايدن، القاراخانيون. موسوعة الإسلام. ج24، ص412-414.

⁹⁸ لمزيد من التفاصيل ينظر: الطائي سعاد هادي، الحركة الفكرية في العهد القاراخاني، ص5-9.

⁹⁹ ينظر سعاد هادي محمود الكاشغري <https://portal.arid.my/ar-LY/Posts/Details/52ea6005-1947-4dc3-9fa1-5abb69d49ae6>

¹⁰⁰ عرفت بهذا الاسم لكون مدينة سمرقند أكثر رواجاً ومسقطاً للمشاهير الأحناف، كانت تتبع للقاراخانيين في أغلب الأحوال.

الماتريدي: ¹⁰¹ وقد تميزت تلك المدرسة بربط مسائل الأصول بمسائل العقيدة؛ مما أدى إلى وجود الاختلافات والانفرادات عن مدرسة العراقيين. ¹⁰² بالإضافة إلى تطور تأليف المتون والشروح لدى الفقهاء الأحناف في المنطقة، ويمثلهم الإمام المرغيناني، ¹⁰³ الذي ظلت كتبه كـ"الهداية" ومنتها "البداية" مرجعا في التدريس والاعتماد عليه في الفتاوى والاستنباط. ¹⁰⁴

ت. التفسير والحديث في العهد القاراخاني: في هذه الفترة، أسهم الأحناف في علوم الحديث والتفسير في تدوين الأحاديث وشرحها، تضافرت جهودهم بالعشرات في المكتبات الإسلامية، من أبرزه تفسير الإمام الماتريدي "تأويلات أهل السنة"، وكذلك في الحديث: المحدث أبو الليث السمرقندي الذي ذاع صيته إلى الأطراف وأصبح مرجعا للأحناف وغيرهم. والقفال الشاشي الذي تفقه عنده كثير من العلماء كالجويني وغيرهم. ¹⁰⁵

ث. علم الفلسفة السياسية والأخلاق: تأليف يوسف الخاص الحاجب ¹⁰⁶ ديوانا بـ"قطادغو بلق" بمعنى علم السعادة، أو العلم الذي يسعد، برع المؤلف فيه جمع السياسة الشرعية والأخلاق

¹⁰¹ الماتريدي (ت 333هـ/944م) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي: من أئمة علماء الكلام. نسبته إلى ماتريد (محلة بسمرقند)، برع في أصول الفقه والعقيدة، من كتبه: في التوحيد: أوهام المعتزلة والرد على القرامطة ومآخذ الشرائع، كتاب الجدل وتأويلات القرآن (مخطوط) وتأويلات أهل السنة (مطبوع)، وشرح الفقه الأكبر المنسوب للإمام أبي حنيفة. مات بسمرقند. ¹⁰² ينظر المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة، ص: 106.

¹⁰³ برهان الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، وعاش بين 511-593هـ/1135-1197م، من كبار فقهاء الحنفية، وكان حافظا مفسرا محققا، من المجتهدين.

¹⁰⁴ لمزيد من التفاصيل ينظر: قيرغيز ترك، الفقهاء في عهد القاراخانيين ومكانتهم في السلطة.

Kırgız, Türk, Karahanlılar Döneminde Fakihler ve onların İktidardaki yeri. "Manas" Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, İslami Bilimler Anabilim Dalı, İslam Hukuku Bilim Dalı. E-Posta: k.aytmamat@gmail.com - ORCID ID: <https://orcid.org/0000-0001-8976-3685>

¹⁰⁵ لمزيد من التفاصيل ينظر: الطائي سعاد، الحركة الفكرية في العهد القاراخاني، ص: 6.

¹⁰⁶ فيلسوف تركي مسلم مفكر وشاعر ورجل الدولة وأحد رجال القرن الخامس الهجري البارزين. اكتسب شهرته من مؤلفه المعروف في علم الاجتماع بإسم «قوتادغوبيليك» أى علم السعادة. كتاب «قوتادغوبيليك» تعتبر من خزان الحكيم العقلية الفذة. ولد يوسف خاص حاجب في مدينة بلاساغون إحدى عاصمة الدولة القاراخانية في عام 1019م الموافق 410هـ لأسرة عريقة، وتوفي في سنة 1085م في كاشغر. ينظر دكتور هدى درويش، دور التصوف في إنتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، 2004.

وفلسفة السلطة والحكم، كما مزج فيه بين خبراته السياسية وبين ثقافته الإسلامية بأسلوب مبهر.¹⁰⁷

هناك دراسة معمقة بعنوان "الحركة الفكرية في الإمارة القاراخانية" تتناول الكثير من الإنجازات العلمية في هذا العهد، قامت بها الأستاذة سعاد حسن الطائي، وأكتفي بالإشارة إليها.

3. دور المذهب الحنفي في الثقافة الإسلامية والمعمار: يمكن ذكر إسهامات العلماء الأحناف أو إبراز دور المذهب الحنفي في تطوير الثقافات الإسلامية إيجازاً:

أ. محاولة التواصل الثقافي العربي التركي ازدواجه: غلب الرحلات العلمية من محدثي وفقهاء ماوراء النهر وتركستان إلى البلاد العربية، وحتى معظمهم استوطن بغداد والكوفة فترات طويلة لتلقي العلوم الإسلامية ولتزويد الثقافات العربية؛ فأسهموا من خلالها في التقارب بالرابطة الإسلامية وجودة العلاقات وحسن التفاهم بين المسلمين وتكريس عمق الأخوة الدينية. ومن ثم بدأ علماء العرب بالتلمذ وتلقي العلم لديهم، وبهذا تم تبادل المعرفة فيما بينهم، العرب والأتراك.¹⁰⁸

ب. تطور الحركة الصوفية: تطور الصوفيون في الدولة القاراخانية بشكل غير مسبوق، وساهموا في النسيج الاجتماعي وإخماد الحروب الأهلية بالنصائح والتزكية، كالشاعر الزاهد أحمد اليسوي.¹⁰⁹

ت. تأسيس المدرسة الساجية والحميدية: تظهر الأعمال الأولى للتطور الذي يمكن تتبعه للعمارة التركية في الفترة الإسلامية في آسيا في الفترة القاراخانية. كانت أول أعمال تأسيس المدرسة الساجية والحميدية وبناء النظام الدراسي فيهما ليجتمع العلماء وطلبة العلم من العالم الإسلامي. إضافة إلى فن العمارة من الطوب، يلفت الهيكل ذو القبة الكبيرة المسمى أر-كبير الانتباه بطبقاته الجصية ومتانته. يعد مبنى المساجد، المخطط المركزي ذو القبة الواحدة ميزة رائعة للفترة المبكرة.¹¹⁰

¹⁰⁷ المرجع السابق. ص 14.

¹⁰⁸ وللنماذج والتفاصيل ينظر المرجع السابق.

¹⁰⁹ موسوعة الإسلام، أحمد اليسوي. TDV İslam ansiklopedisi, Ahmad Yesevi.

¹¹⁰ ينظر عبد الكريم أوزايدن، القاراخانيون. موسوعة الإسلام. ج 24، ص 412-414. Abdülkerim, ÖZAYDIN,

Karahanlılar, TDV İslam ansiklopedisi. <https://islamansiklopedisi.org.tr/karahanlilar>

المطلب الثاني

دور المذهب الحنفي في عهد الجغتائيين والتموريين

بعد انقراض الدولة القاراخانية ظل الإسلام وخاصة المذهب الحنفي يتوسع تأثيره ويتقدم في المجتمع التركستاني، وكان أتراك الأويغور غير المسلمين ما زالوا معارضين للإسلام. فبعد تأسيس إمبراطورية جنكيز خان، قسّم الأراضي التي سيطر عليها بين أبنائه الأربعة ودخل المناطق التي تتبع للأتراك غير المسلمين تحت هيمنة تركستان لابنه الثاني جغتاي (ت 1242م) (1226 حكمه إلى 1242 م). وسميت المناطق التي كان يحكمها الخانات الجغتائية بهذا الاسم، وكانت فترة حكمها 1227-1370م. ثم انتقلت السلطة إلى التيموريين من الأصول التركية. ينظر كثير من الباحثين إلى هذه الفترة كفترة انكماش وتحلف، لكثرة الحروب الأهلية وهجمات خارجية كالنصارى والمغول. ولكنها أنجبت العلماء ووسعت دائرة الإسلام أكثر مما سبق. فمن أهم الإنجازات في هذه الفترة:

1. تطوّر الدعوة الإسلامية: وفي هذه الفترة، وجد الدعاة والعلماء فرصة سانحة لنشر الإسلام، وكان أبرز سياستها حرية الدين وعدم التدخل في المعتقدات الدينية والأعراف.¹¹¹ جاء الدعاة الكثيرون إلى تركستان واشتغلوا بتبليغ الدعوة بحرية، على سبيل المثال: "جاء شيخ باسم نظام الدين الدهلوي إلى مدينة كوتشا التي هي مركز للبوذيين الأتراك، وأسس مسجدا وخانقا للتدريس، وكثر أتباعه المتعلمين".¹¹² فبحلول منتصف القرن الرابع عشر، اعتنق المغول الإسلام أيضًا.¹¹³ ومع تحوّل المغول إلى الإسلام، اعتنقت القبائل التركية غير المسلمة في المناطق الشرقية والشمالية من تركستان الشرقية، وازدهر الإسلام بقوة حتى نهاية الخانات

¹¹¹ ينظر عبد الشكور محمد، المدارس والعلماء المشاهير في مدينة كوتشا (كؤچادىكى مەدرەسلەر ۋە مەشھۇر ئۆلىمالار)، مؤتمر "التعليم الأويغور ماضيه وحاضره. ص 147-155.

¹¹² المرجع السابق.

¹¹³ ERASLAN.

الجغرافية. وهكذا قد اكتملت عملية الأسلمة، التي بدأت منذ حوالي أربعة قرون في تركستان الشرقية.

2. تمكين مكانة الشريعة الإسلامية والمذهب الحنفي: خلال الفترة التيمورية (1370-1507)،

كانت الأراضي التي تحت حكم الأسرة التيمورية هي نفس الجغرافية التي كانت تنتمي إلى الخانات الجغائية. في هذه الفترة التي شهدت العديد من الحروب والثورات السياسية، ونهض شعب تركستان الشرقية دينياً واستقراراً. في واقع الأمر، على حد تعبير ابن عرب شاه،¹¹⁴ "فضل القانون التيموري على الشريعة".¹¹⁵ يشير المؤرخون التيموريون إلى ابنه شاهروح كحاكم ملتزم بالشريعة. على عكس والده، وقلد أولوغ بك جده تيمور في إدارة الدولة. وأظهر الحكام بعد أولوغ باي اهتماماً أكبر برجال الدين من أجل استغلال هيمنة التأثير الإسلامي، خاصة المذهب الحنفي، عبر الحفاظ عليه وتطوير دوره في المجتمع التركستاني.

3. تطور الدعوة الإسلامية: حظي المذهب الحنفي في هذه المرحلة بأن يصبح مرجع التشريع للدولة ومنارا للعلوم والثقافة، كما كان في فترة الأئمة المجتهدين لدى الخلافة العباسيين في القرن الثاني الهجري. إلا أن بعض الشرائع المغولية ما زالت تؤثر في عمق المجتمع التركستاني. ولكنه دام بالأدوار التي لعبها، بتطوير المجتمع بالعلوم والفنون والعمارة. كما ذكرناه في المطلب السابق.

4. ترقية العمارات الإسلامية في عهد الجغتائي والتيموري في تركستان: يعتبر هذا العهد، خاصة العهد التيموري من أكثر الفترات ازدهاراً في الفنون المعمارية وتأسيس المساجد والمدارس في أنحاء البلاد، فمثلاً: تذكر كتب التاريخ أنه تم إنشاء الجامع عيدكاه في كاشغر في 1405م. يذكر الباحث الأويغور عبد الشكور محمد العشرات من أشهر أسماء المدارس فيها. ومعظم مدارس كوتشا وخانقاوات وجوامع بقية المدن التركستانية أسست في هذه الفترة.¹¹⁶

¹¹⁴ صاحب الكتاب "عجائب المقدور في أخبار تيمور". توفي عام 854هـ.

¹¹⁵ Aka.

¹¹⁶ ئابدۇشۈكۈر مۇھەممەد، كۇچادىكى مەدرەسەلەر ۋە ئولمىلار، ئۇيغۇر دىنى مائارىپىنىڭ ئۆتمۈشى ۋە بۈگۈنى، ئەتىلاد نەشىرياتى، 2019. (عبد الشكور محمد، المدارس والعلماء المشاهير في مدينة كوتشا)، مؤتمر "التعليم الأويغور ماضيه وحاضره".

5. العلوم الإسلامية في عهد الجغتائي والتيموري في تركستان: كان أغلب المجتهدين والعلماء الأحناف في ما وراء النهر وتركستان الذين عرفوا بشروح المتون الفقهية قد نشأ في هذه الفترة، كالسرخسي وصاحب المبسوط والبخاري وغيرهم. من المعروف أن كتب طبقات الأحناف والتراجم الحنفية راجت بأسمائهم وترجمهم.

6. العلوم الفضائية والرياضية: كون الفترة قد شهدت حروباً شرسة قد احتاج قادة الدولة الجغتائية والتيمورية إلى علماء الجغرافيا والفضاء، وحتى أرسل طلبة العلم إلى بغداد لتحصيل هذه العلوم الفنية؛ فنتج هذا ظهور عدد من العلماء كالبيروني في الجبر وعلم الفضاء والخوارزمي في علم الرياضيات. فضلاً من إنشاء مرصد لمراقبة الفضاء والجو وغيره.¹¹⁷

وهناك جمع غفير اشتهرت شهرتهم في العالم الإسلامي من علماء تركستان، ونحن إذ نكتفي هنا بذكر أهم شخصين كنموذج لعلماء هذا العهد فقط، واحد في الأدب والآخر في الفقه:

أ. عبدالرحمن جامي (1414-1492م)، أحد الشعراء المفكرين المعروفين في تاريخ العالم الإسلامي وتاريخ الأدب الفارسي، وشخصية متميزة اشتهرت حتى في العالم الغربي، فهو تلميذ الشيخ سعد الدين الكاشغري.¹¹⁸ تربى عبدالرحمن جامي على يد أستاذه سعد الدين الكاشغري،¹¹⁹ وتأثر منه تأثراً عميقاً في رؤيته الدنيوية، وبركته حصل له أحوال وأذواق بأدنى مدة، بھر بها رفقاءه؛ حتى تسلم مشيخة الطريقة، خلفاً لأستاذه سعد الدين الكاشغري. فشرح جامي في عدة مؤلفاته تعليمات شيخه سعد الدين الكاشغري ومدح أستاذه بصفات عالية جداً. كذلك يعتبر الشاعران لطفی والسكاکی من تلاميذه المرموقين في العالم الإسلامي للشيخ سعد الدين كاشغري.

¹¹⁷ يسمى مرصد أولوغ بيك باسم القائد التيموري وهو حفيد تيمور الشهير. ينظر المرجع السابق.

¹¹⁸ خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط15، 2002.

¹¹⁹ عالم فذ في الأدب والفقه، توفي 860هـ-1455م. ينظر سلم الوصول إلى طبقات الفحول، سعد الدين الكاشغري، ص129.

ب. الشيخ الفقيه سديد الدين الكاشغري: وهو العالم الذى سافر إلى آسيا الغربية فى القرن الخامس عشر، وعُرف بعمق وسعة علمه فى العالم العربى. وكان سديد الدين الكاشغري فقيهاً ماهراً فى النحو واللغة والتفسير والوعظ. وهو نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة 705 خمس وسبعمائة. من تصانيفه: "منية المصلى وغنيه المبتدى"، و"تاج السعادة"، و"طلبة الطلبة فى طريق العلم لمن طلبه"، و"كتاب السياقات"، و"مجمع الغرائب ومنبع الرغائب فى زوائد النهاية لابن الاثير"، و"مختصر أسد الغابة فى معرفة الصحابة".¹²⁰

ويروى عن الشيخ سديد الدين الكاشغرى أنه صار شافعيًا فى آخر عمره، قال ابن خلكان فى وفياته كان فى أول قدومه اليمن حنفيًا المذهب فأقام بمكة أربع عشرة سنة صنف بها كتاباً سماه مجمع الغرائب ومنبع العجائب فى أربعة مجلدات وانتقل إلى المذهب الشافعي.

المطلب الثالث

المذهب الحنفي من عهد الدولة السعيدية إلى الاحتلال الصيني

مع ضعف الحكومة المركزية للدولة التيمورية وفقدان الوحدة السياسية والاستقرار فى تركستان الشرقية، نجح السلطان سعيد خان (1490-1533)، سليل آل جغتاي، فى إنشاء خانيته الخاصة فى كاشغر وياركنت، من المدن الهامة فى تركستان الشرقية. وكان قد انقسمت الرقعة التى تحكمها إلى إمارات، فى كل من بخارى وأفغانستان وتركستان؛ إذ تأسست خانات ياركند أو باسم مؤسسها "الدولة السعيدية" فى تركستان، بعد أن حكم ميرزا أبو بكر (حفيد تيمور)، أحد أمراء قبيلة دوغلات لما يقرب من 50 عامًا بعد التيمور فى هذه المنطقة من تركستان. كانت ياركند هى التى كانت عاصمتها.

1. فترة حكم خانات ياركند بين عامي 1514 و 1696: خلال هذه الفترة، نظم العديد من التحركات الجهادية باسم الإسلام. يُسجّل أن الحياة الدينية والاجتماعية للشعب كانت فى

¹²⁰ الموسوعة الشاملة. الرابط: <http://islamport.com/k/mjl/6408/26982.htm>

مستوى متقدم، وأنهم أصبحوا أغنياء ثقافيًا وحضاريًا، خاصة في عهد عبد الرشيد خان (1533-1560) ابن السلطان سعيد. ونرى أنها كانت الأقوى عسكريًا وقوة في عهد السلطان محمد خان (1592-1609).

وفي مخطوط للعهد السعدي، "تم تسجيل 585 مسجدًا و437 حمامًا 1690 مكتبة و573 مدرسة ودورا للعلم و1736 كروان ساري.. في عهد السلطان عبد الرشيد خان".¹²¹

2. تركستان الشرقية والإسلام في عهد الخوجاوات:¹²² أخذ هداية الله ابن الحاج يوسف المعروف باسم آفاق خوجة،¹²³ السلطة غضباً من السلطنة السعيدية، وأسس سلطة الخجوات، وهو الذي يتمتع بنفوذ كبير بين الناس من حيث الدين والطريقة الصوفية. وكان قد طارده إسماعيل خان، آخر خان من السلطنة السعيدية الخانية، في عام 1677، ويهرب آفاق خوجة من قوات الخان إسماعيل، ومرّ عبر كشمير إلى التبت، حيث يلتقي بالدالاي لاما خامس زعماء البوذيين، وطلب منه المساعدة العسكرية ضد إسماعيل خان.¹²⁴ أعطت هذه المواقف طابعاً جذاباً للقبائل المجاورة. ولجأ أهالي تركستان الشرقية بشكل خاص تحت التأثير الروحي للنجاة من أجل التخلص من هذه الجمود السياسي والاجتماعي والاقتصادي. منذ أن طرد إسماعيل خان (1670-1680) آفاق خوجة من تركستان الشرقية، ذهب إلى غالدان، حاكم

¹²¹ تم تدمير كل هذه المنشآت والعمارات بعد استيلاء الصين المانشورية. ينظر المقال: ثقافة الحمام عند الأويغور "ئۇيغۇرلاردا ھاماملق مەدەنىيىتى" من صفة الويب بيلقوت.

¹²² الصوفيون بطريقة النقشبندية، ومعنى خوجة أستاذ في الطريقة.

¹²³ كلمة آفاق "appak" المستخدمة كلقب لـ خوجة شداية الله، بمعنى "سيد الكون"، الكلمة الفارسية بمعنى عالم.

¹²⁴ وفقاً لما جاء في كتب التاريخ، استقر الحاج المخدم العظام الشهير من علماء بخارى في كاشغر عام 1412. واصل أبنائه في الخوجة للطريقة الصوفية كإسحاق وشقيقه الإمام كالان واجباتهم في التدريس. أدت الاختلافات في الاجتهاد بين هذين الأخوين إلى تشكيل مجموعتي أكتاغليك (الجباليون الأبيض) وقاراتاغليك (إشكية). لعبت هاتان المجموعتان دوراً سلبياً في تاريخ تركستان الشرقية لسنوات عديدة وتضحيات مزدوجة.

جونغاريا في الشمال، بطموحه الخاص في السلطة، وبمساعده استولى على كاشغر في 79/1678 بدعم منه.¹²⁵

كانت تركستان الشرقية خلال حقبة خوجاوات، التي بدت عدم الاستقرار السياسي والصراع، مسرحًا لصراع شرس على الهيمنة بين حكام المدينة من الفرق المتصوفة المتطرفة بشقيهما، الإسماعيلية والإسحاقية.

كانت الصين المانشورية تراقب الاضطرابات في تركستان من بعيد، حيث تنتهز الفرصة التي كانت تنتظرها، وفي عام 1755 أرسلت قوات عسكرية ضد كل من قالماق في الشمال وخوجوات من الجنوب. وقع هذا الغزو الصيني لتركستان الشرقية في عام 1757، وبعد هذا الغزو، عُرفت تركستان الشرقية وشعبها باسم "قرن الثورات" (1757-1865) ضد الصين في القرن الثامن عشر. في البداية احتلت الصين منطقتي قومول وتورفان في شمال تركستان الشرقية، ثم مدن جنوبها في عام 1759 مما قلب الميزان لصالح الصينيين.

على الرغم من سيطرة السلالات الإقليمية والأمراء عدة مرات على مدن كاشغر والمنطقة لكسر نفوذ تشينغ مانشور الصيني، إلا أنهم لم ينجحوا تمامًا.¹²⁶

خلق هذا الوضع ضعفًا أمنيًا في الإقليم، وبدأت فترة التحضير للغزو الصيني في السنوات القادمة. واصل شعب تركستان الشرقية مقاومتهم لاحتلال تشينغ مع انتفاضاتهم وثوراتهم التي استمرت قرنا كاملا. لقد كان سجيننا كاملا من خلال استمرار انتفاضاته وإصلاحاته المستمرة.

3. تركستان الشرقية والإسلام من الدولة الكاشغرية إلى الجمهورية الإسلامية: كما ذكرنا أعلاه، نتيجة لانتفاضات جميع شعوب المنطقة (1858-1863)، تمكن الشعب التركستاني من كبح جماح الجيش الصين الغازي تمامًا من تركستان الشرقية في عام 1865. بعد ذلك

¹²⁵ uhammed Bilal Çelik, Yarkend Hanşığının Siyasi Tarihi, s216-217, (İstanbul: İQ Kültür Sanat Yayıncılık, 2013).M

¹²⁶ Zafer Saraç, 'Bir Nefeste Tarihi Şarki Türkistan', *Kamlançu Dergisi*, 1 (2017), 2-5.

مباشرة، أسس شعب تركستان الشرقية حكمهم في الجنوب تحت قيادة يعقوب خان، الدولة الكاشغارية (1865-1878)، وفي الشمال نيابة عن سلطنة إيلي (1864-1871).¹²⁷ عندما أرادت الدولة الكاشغارية ربط تركستان والأناضول من خلال إقامة علاقات وثيقة مع الدولة العثمانية، دعت روسيا القيصرية، التي احتلت غرب تركستان، الصين مرة أخرى إلى التعاون في المنطقة. في عام 1878، بينما كان الروس يقاتلون العثمانيين، هاجم الصينيون تركستان الشرقية في نفس العام. نتيجة لذلك، هزمت روسيا الإمبراطورية العثمانية، وهزم المانشو الصينيون الدولة الكاشغارية في تركستان الشرقية.¹²⁸

أطلق الصينيون على تركستان الشرقية لقب "شينجيانغ" (شينجيانغ)، والتي تعني "الحدود الجديدة" و "الأرض التي فازت حديثاً" في نوفمبر 1884. وهكذا، بدأ واقع الغزو الأول لتركستان الشرقية، وبدأ الناس يعانون من الاضطهاد الديني، ومصادرة ممتلكاتهم، والحرمان من التعليم، إلخ. واجهوا محاكمات قاسية.

4. تركستان الشرقية والإسلام في فترة جمهوريتين (1933-1944): ثار أهالي تركستان الشرقية، الذين نفذ صبرهم من الاضطهاد، في مقاطعة كومول في شمال شرق المنطقة تحت اسم "ثورة كومول". على الرغم من وجود حركات ثورة سرية ضد الاضطهاد في مقاطعات أخرى، إلا أنها لم تنجح بسبب السياسات القاسية للصينيين الذين استولوا على المنطقة. ودعم كل الناس الثورات الشعبية، وظهرت دعوات انتفاضات للوطن وحركات إصلاح علمي وفكري في جميع أنحاء المنطقة. ونتيجة لذلك، بدأت الدعوات لحماية الإسلام والوطن بقيادة التربويين ورجال الدين في جميع أنحاء تركستان الشرقية. على سبيل المثال، تم تأسيس "منظمة الثورة الوطنية" في سبتمبر 1932 تحت قيادة محمد أمين بوغرا (1901-1965)، الذي كان معروفاً بين أهل خوتن بمهاراته الخطابية والإدارية.

¹²⁷ خضعت هذه السلطنة للدولة الكاشغارية في عام 1871، ثم في عام 1881، احتلت بموافقة الروس والصينيين. Nebijan

Tursun, '1878-1881 YILLIRIDIKI "İLİ KRİZİSİ" VE UNİİN AQİVİTİ', *Uluslararası Uygur Araştırmaları Dergisi*, 4 (2014), 113-50.

¹²⁸ İlteriş KUTLUK, 'Türk ve İslam Dünyası'nın Doğu'daki Kalesi Doğu Türkistan Düşüyor Mu?', *Türk Yurdu* Dergisi, 2009 <<https://www.turkyurdu.com.tr/yazar-yazi.php?id=2366>> [accessed 27 June 2021].

وفي 14 فبراير 1933، بدأت الانتفاضات الأولى في محافظة قاراقاش بخوتن. في غضون شهر، سيطرت على محافظة خوتن بأكملها، وفي أبريل 1933 تأسست "حكومة خوتن الإسلامية".¹²⁹ نرى أن اللقاء وتبادل الأفكار تحقق مع ثابت دامولا (1883-1941)، الذي عاد إلى الوطن بعد أن قام بزيارات مثمرة للعالمين التركي والإسلامي مثل مصر والمملكة العربية السعودية وتركيا، قد تهيؤوا بإعلان "الجمهورية الإسلامية لتركستان الشرقية" في كاشغر في 12 نوفمبر 1933، ونجحوا في إنشاء أول "جمهورية إسلامية" بالكامل تحت شعار "الإسلام، العدل، الحرية والوحدة (الأخوة)".

وفقًا للباحث عالجان بوغدا، فإن هذه الجمهورية "بصفتها منظمة إسلامية، فإن دوائر وزارات القضاء والاقتصاد والخارجية التربوية والتعليم والوزارات الأخرى. كانت ممتازة في كل حال. وأصدرت صحف مثل "الاستقلال" و "الحياة في تركستان الشرقية" وضاحت أمواله وجواز سفره. كانت الشريعة الإسلامية أساس الشؤون الداخلية للجمهورية، وقد أثرت على الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للشعب".¹³⁰

على الرغم من أن بقائها كان قصيرًا، إلا أنه كان لها تأثير على الصحة الفكرية وصعود شعب تركستان الشرقية. ومع ذلك، وبدعم من الوحدة العسكرية التي أرسلتها إدارة ستالين (1878-1953) الاتحاد السوفيتي إلى المنطقة، تم تدميرها بشكل دموي في فبراير 1934 من جهة الممثل الصيني شينغ شي تساي (1894-1970).¹³¹ في عامي 1937 و1941، ارتكب الممثل الصيني مجازر وحشية، خاصة على مؤسسي الجمهورية والعلماء. في واقع الأمر، ونتيجة للكفاح المسلح الذي بدأ في غولجا شمال تركستان الشرقية في سبتمبر 1944، تم تأسيس "جمهورية تركستان الشرقية" في 12 نوفمبر 1944.

¹²⁹ Nur Ahmet Kurban, 'BUĞRA, Mehmet Emin', *TDV İslâm Ansiklopedisi*, 2016, pp. 213-15
<<https://islamansiklopedisi.org.tr/bugra-mehmet-emin>> [accessed 28 June 2021].

¹³⁰ عالجان بوغدا، جمهورية تركستان الشرقية ودستورها، "شعري في تركستان نسلام جؤمهوريتي وه ئونلك ئاساسى قانونى،

ط1، ص15-20. إسطنبول.

¹³¹ الوثائق من أرشيف الصين: تنيهن وبيجاك، شنجاكنك تاريخنى توغرا شهرهليلي،

إلا أن "جمهورية تركستان الشرقية" انتهت في 26 سبتمبر 1949، مع احتلال المنطقة من قبل الجيش الأحمر تحت الحكم الشيوعي الصيني، بسبب تدخلات إدارة ستالين السوفيتية منذ تأسيسها مع الاتحاد السوفيتي، ومشاركة الصين في الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية. احتل الجيش الأحمر تركستان الشرقية نتيجة الاتفاقات السرية المبرمة بين روسيا السوفيتية والصين. وتم ضم الجيش الوطني لجمهورية تركستان الشرقية باسم "جيش العمود الخامس" للجيش الأحمر في ظل الحزب الشيوعي. أعلن الصينيون في وقت لاحق اسم المنطقة باسم "منطقة شينجيانغ أويغور ذاتية الحكم" في 1 أكتوبر 1955.

كان الشعب التركستان، قياداتها، قد تمسكوا بالمذهب الحنفي كحصن ضد الفرق المتطرفة كبعض الصوفية الإشرافية _والتي تأثرت من الفرق الشيعية_ وضد العدوان الخارجي.

كما أن من الأهم أن لعب العلماء التركستانيون وكلهم الأحناف من مؤسسي الجمهورية الإسلامية عام 1933 وعلي خان توره (1884-1976) أهم الأدوار في تأسيس الجمهورية وقيادة الحركات الثورية. بالإضافة إلى الجيش الوطني، المكون من المجاهدين والمشاركين في الثورة، متقدمًا على الفترة من حيث العدد والقوة؛ أنهم كانوا ملتزمين بالمذهب الحنفي قلباً وقالباً.

الفصل الثالث

دور المذهب الحنفي في حفظ هوية أترك الأويغور الإسلامية في الحاضر

ويحتوي هذا الفصل التمهيد والمباحث الآتية:

المبحث الأول: دور المذهب الحنفي في حفظ التماسك الاجتماعي الإسلامي

المطلب الأول: دور المذهب الحنفي في حفظ الروابط الأسرية

المطلب الثاني: دور المذهب الحنفي في حفظ تماسك المجتمع التركستاني

المطلب الثالث: دور المذهب الحنفي في كفاح الأويغور على الإلحاد والأيديولوجيات الشيوعية وبعض الفرق المنحرفة

المبحث الثاني: سياسة السلطات الصينية نحو المذهب الحنفي في تركستان الشرقية

المطلب الأول: استغلال الصين لمكانة المذهب في ضبط المجتمع التركستاني

المطلب الثاني: سياسة تجهيل المجتمع بتعصب وتحريف المذهب الحنفي

المطلب الثالث: تهميش المذهب الحنفي والعلماء في الحياة الاجتماعية

المبحث الثالث: أهمية المذهب الحنفي ودوره في حفظ الهوية الإسلامية

المطلب الأول: مزايا المذهب الحنفي في مستقبل الشعب التركستاني

المطلب الثاني: ضرورة تفعيل دور المذهب الحنفي في المجتمع التركستاني

المطلب الثالث: إحياء دور المذهب في الحياة بمختلف جوانبها

تمهيد:

منذ ثلاثة قرون من الزمن، تغلغل الصراع الفكري والأيديولوجيات المعادية للإسلام دون فسحة لحظة في تركستان الشرقية، بدءاً من عهد الخوجوات المتصوفة المتطرفة حتى الآن. فالصين الشيوعية هي من أشدها لدوداً محاربة الإسلام، بإعلانها من أول مرحلة من الاحتلال أنها أيديولوجية معادية للمبادئ الشيوعية. كذلك حاربت الثقافات والتقاليد التي هي تمثل تميزات الشعب التركستاني عن غيرهم، وحتى العادات الإسلامية لمسلمي تركستان الشرقية. مظهرة عدوانها في أنه سيحركهم على وجه القوى المستعمرة ماداموا يحافظون على خصوصياته التي تمثل وجودهم واستمراريتهم في هذا الوطن.

ومن ثم أصرت الصين - بقيادة الحزب الشيوعي الذي يزيد عددهم عن تسعين مليوناً عضواً - في إخماء هويات قوميات الأقاليم المسيطر عليها، وتذويبها في وحدة القوم الهان الصيني، وتذويب الإسلام بالمبادئ الشيوعية والنظم الاشتراكية التي كرسها وطبقها في شعوب آسيا الوسطى.

استغلالاً لهذه الفرصة التاريخية والمساعدات الحربية من الاتحاد السوفييتي والدبلوماسية ومن التحولات السياسية في ترتيب النظم العالمية والاتفاقيات والمواثيق الدولية؛ كرست الصين استيلاءها على تركستان الشرقية بسلام بدون تكلفة الحرب. ولكنها قامت بعد السيطرة مباشرة بحملات قمعية متوالية على الشعوب المسلمة من مسلمي الأويغور وغيرهم، في جميع طبقات المجتمع، الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، باستخدام كافة الوسائل التي تملكها.

وكان هدفها الرئيسي من جملة تلك الحملات القمعية التي نفذتها استيعاب الديموغرافية والهويات الإسلامية للشعوب من سكان الأصل، ودمجهم في القومية الصينية الكبرى التي يمثلها عرق الهان الصيني. وقد تم تحقيق عملية التذويب أو ذوبان لكثير من الشعوب المستعمرة في ظل هذه السياسات العنصرية. على سبيل المثال: تم ذوبان القوم المانشور الذي أسس امبراطورية المانشور الصينية التي كان حكمها خلال الفترة من عام (1644 إلى 1912)، أي انقلبت عليها الصين الحالية ب"ثورة شنغهاي"، والتي غيرت مسيرة تاريخ الصين، ولم تبق لهم أثر سوى سجلات التاريخ.

إلا شعب تركستان الشرقية ما زال قائماً على وجه تلکم السياسات المقيتة، لإبراز دور المذهب الحنفي في القيام والصمود نعرض جملة منها، كسياسة التذويب وطمس الهويات الأهلية من الصين الشيوعية التي قامت بتنفيذها على مدى سبعين عاماً (1949).

وجاء البحث ليلفت نظر علماء وساسة الأمة الإسلامية إلى ظواهر واقعية في تاريخ هذا الشعب الصمود—مسلمو الأويغور— مع الصين الشيوعية، ومدى أهمية ثقافتهم ولغاتهم في حفظ بقائهم أمام تحديات سياسات الصين المتخلقة بها الصينيون منذ القديم؛ حيث يقول المثل الصيني: "من لم يكن من قبيلتي فهو عدوي، فيجب أن يباد (يستأصل) أو أن يذاب".⁽¹³²⁾

فمن هذا المنطلق يركز هذا الفصل على تلمس أوضاع أترك الأويغور الفكرية والثقافية، والسياسية، وعرض واقعهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ثم بالحالة السياسية الحاضرة في إقليم تركستان الشرقية، والتي تمثلها سياسة الصين "تصيين الإسلام بالزي الصيني الشيوعي"، وسياسة توحيد القوميات من ناحية العرق واللغة والحضارة والثقافة والدين.

وهي السقف الذي يستظل تحته أفراد تلك الشعوب المسلمة، والتي تعتمد على عناصر أساسية بشكلٍ مباشر، يمكن من خلالها إبراز الخصوصيات التي بها يتميز مسلمو الأويغور في تركستان الشرقية. وبالإضافة إلى أن أهم أركان الهوية على الإطلاق - ككوننا مسلمين - هو العقيدة الإسلامية، يليها التاريخ واللغة وبقية عناصرها السابقة؛ فإذا تحدثنا عن الهوية الإسلامية نجد أنها مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة، بحيث إن الهوية الإسلامية تستغني تماماً عن أي لقاح أجنبي عنها، وتستعلي عن أن تحتاج إلى لقاح أجنبي يخصبها؛ فهي هوية خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة وأصول ثابتة رصينة تجمع وتوحد جميع المنتمين إليها تحت لوائها ومظلتها.⁽¹³³⁾

¹³² مثل صيني شعبي يتناقله ساستهم ورعاياهم جميعاً منذ قديم، وهو يمثل ثقافة الشعب الهان في المعاملة مع قوميات أخرى.

¹³³ محمد إسماعيل، العقيدة الصحيحة هي الركن الأعظم للهوية الإسلامية، ص4، دروس الشيخ المكتبة الشاملة الحديثة. الرابط:

<https://al-maktaba.org/book/32185/1075#p2>

المبحث الأول

دور المذهب الحنفي في حفظ التماسك الاجتماعي الإسلامي

يحتوي هذا المبحث كلاً من:

المطلب الأول

دور المذهب الحنفي في حفظ الهوية الإسلامية كمظهر

عندما تحدثنا عن الهوية الإسلامية يتبادر في الذهن أثر التصوف في المجتمع التركستاني إلى جانب المذهب الحنفي، الذي داوم تأثيره على مدى اثني عشر قرناً من أسلمة الشعب التركستاني؛ هو اتّسام بعض شخصياتها بمظاهر التقشّف وشدة الورع، والافتداء بمسلك النبي صلى الله عليه وسلم وخيار صحبه في التقلّل من الدنيا والزهد فيها وفي ملذّاتها، وإيثار لبس الصوف والخشن من الثياب، وبنصاعة التقوى الخالية من الألفاظ والاصطلاحات الإيهامية التي عُرف بها بعض متأخري الصوفية.

فالزهد إذن كان هو السمة البارزة التي ميّزت التصوف في بداياته، ولذلك اعتبره مؤرخو التصوف هو مرحلة سابقة عليه وممهّدة له.

والزهد الإسلامي له مفهومه الخاص، فهو ليس من شرطه أن يكون مقترناً بالفقر، بل قد يتفق للإنسان الغنى والزهد معاً. ومّا يجلّي ذلك، هذا التعريف لأحد الصوفية للزهد حيث قال: "الزهد أن تكون معرضاً عمّا تملك، لا أن تكون معرضاً عمّا لا تملك، فإنّ من لم يملك شيئاً فيمّ يكون زاهداً؟".¹³⁴

ويُمكن إرجاع عوامل بروز الزّهد في هذه المرحلة من نشأة التصوف إلى عاملين أساسيين:

– أولهما: الإشارة إليه في التعاليم الإسلامية من قرآن وسنة.

¹³⁴ Arzu Eylül Yalçinkaya, "İlk Dönem Tasavvuf Klasiklerinde Zühf kavramı Üzerine", Bülent Ecevit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. C7, s1, Haziran 2020.

قد ورد في القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحفّر من شأن الدنيا وتدعو إلى هجر ملذاتها وزخارفها وعدم الافتتان بها، ومما يجسد هذا المعنى قوله تعالى في سورة الحديد: [اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُمْ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ]. (سورة الحديد: 20/57).

ومن الأحايث التي حذرت من الافتتان بملذات الدنيا والتنافس فيها، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "وَاللَّهِ مَا الْفَقْرُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسِطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتُكُمْ".¹³⁵

فمثل هذه النصوص كان لها الأثر البالغ على بعض المسلمين من العباد والنساک في تركهم للملذات واتصافهم بالزهد.

- وثاني العوامل: الثورة الروحية ضد النظام السياسي والاجتماعي السائد ضد المستبدین.

إنّ الفتن والاضطرابات السياسية التي ظهرت عقب صعود الخانات السعيدية والخوجوات المتصوفة؛ جعلت بعض الشخصيات الإسلامية من العلماء والعباد والنساک يؤثرون الابتعاد عن هذه الفتن ويفضّلون العزلة المؤدية إلى نوع من الزهد.

كما أنّ حياة المسلمين الاجتماعية في المجتمع التركستاني تغيّرت بسبب الفتوحات وكثرة الغنائم، حيث بدأ يظهر الثراء وحياة الترف وما يستتبع ذلك من الانحراف الخلقي، ممّا أدّى ببعض الأتقياء والصالحين إلى دعوة الناس إلى العودة إلى جوهر الدين وما كان عليه حال السلف من الصحابة من التقلل من ملذات الدنيا والزهد فيها.

وكان من أوائل الشخصيات، بعد الصحابة، الذين تميّزوا بهذا النهج وحاولوا إبرازه وإحياءه، هي شخصية التابعي الحسن البصري (ت. 728/110) الذي كان قوام الحياة عنده هو الزهد في الدنيا، والإعراض عن جاهها، والإقبال على الله، والتوكل عليه، والخوف منه.

وأما بعد سقوط تركستان الشرقية تحت الاحتلال قد لعب المذهب الحنفي حاولت القوات الاحتلالية لتغيير الثقافات الدينية والمبادئ والقيم التي يتمسك بها الشعب التركستاني، وإبعاد أي دور

¹³⁵ محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، الرقم: 4015. الراوي: عمرو بن عوف المزني.

يلعب في تماسك أعضاء المجتمع التركستاني؛ ومن هنا تبرز أهمية الهوية الإسلامية أو التي يعبر عنها اليون بـ "الهوية الثقافية"؛ وهي الهوية التي ترتبط بمفهوم الثقافة التي يتميز فيها مجتمع ما،⁽¹³⁶⁾ وهي السقف الذي يستظل تحته أفراد تلك الشعوب المسلمة، والتي تعتمد على عناصر أساسية بشكل مباشر، يمكن من خلالها إبراز الخصوصيات التي تميز مسلمي الأويغور عن الصينيين المستوطنين في تركستان الشرقية:

أولاً: عناصر الهوية لتركستان الشرقية:

1. اللغة: إذ تتميز الهوية الثقافية بنقلها لطبيعة اللغة بصفاتها من العوامل الرئيسية في بناء ثقافة الأفراد في المجتمع التركستاني.
2. الدين الإسلامي: وإن الدين هو أحد العناصر الهامة التي تشكل الثقافة، ولا شك في أن أثر المعتقدات الدينية علي حياة الأمم واضح.
3. فنون الأدب (الثقافية): وهو انعكاس لمشاعر قوم ما وأفكارهم وملذاتهم وآمالهم وآلامهم، هي محاولته لإيجاد الجمال، أو جهوده في اختراع أشياء جدد، وينقسم هذا العنصر الثقافي إلى فروع: مثل الرسم، والنحت، والموسيقى، والأدب، الخ.
4. التقاليد والمظاهر العامة التي يمثلها العرف وطرز العيش: وهي سمات خاصة بأعضاء قوم ما، من حيث الموقف المشترك والعقلية الفكرية والسلوك الجماعي. وتشكل هذه المواقف والسلوكيات الشائعة لأي قوم عبر جسور التاريخ التي تعكسها التجارب المشتركة في ما بينهم. فإنه يمثل وحدة المصير بين الناس، وقد تتجدد الثقافة في عملية تاريخية.⁽¹³⁷⁾

فالنوع الأخير هو الذي يمكننا من تحديد هوية شعب تركستان الشرقية -هويتها الإسلامية- (إقليم شينجانغ الأويغور ذاتي الحكم حالياً) في الواقع الحالي نظراً في النقاط التالية:

- ج. دين الإسلام الذي يتمثل في كونه حنفي المذهب، ماتوريدية المعتقد.
- ح. أعراق الأتراك التاريخية التي كانت تمثلها قومية الأويغور - كغالبية السكان في الإقليم - والقازاق والقرغيز غيرهم حالياً.

¹³⁶ المرجع السابق.

¹³⁷ ينظر. Sosyoloji Ders Özeti kitabı, s6. Atatürk Üniversitesi Sosyoloji lisans 2019.

خ. اللغة أو اللهجة الأويغورية التي تنحدر من اللغة التركية التي تتشجر إلى اللهجات الفرعية، كالأويغورية والقازاخية والقرغيزية وغيرها، (كلها فروع أصيلة من اللغة التركية).⁽¹³⁸⁾

د. الفنون الحضارية الخاصة بهم، والتقاليد العامة التاريخية وطرز معاشهم اليومي التي قدّمها الشعب التركستاني إلى الإنسانية عموماً، والتي تُميّزهم عن الصينيين الهان في المشهد الحضاري والتاريخي والثقافي.

وبالإضافة إلى أن أهم أركان الهوية على الإطلاق - ككوننا مسلمين - هو العقيدة الإسلامية، يليها التاريخ واللغة وبقية عناصرها السابقة؛ فإذا تحدثنا عن الهوية الإسلامية نجد أنها مستوفية لكل مقومات الهوية الذاتية المستقلة، بحيث إن الهوية الإسلامية تستغني تماماً عن أي لقاح أجنبي عنها، وتستعلي عن أن تحتاج إلى لقاح أجنبي يخصبها؛ فهي هوية خصبة تنبثق عن عقيدة صحيحة وأصول ثابتة رصينة تجمع وتوحد جميع المنتمين إليها تحت لوائها ومظلتها، وتملك رصيдаً تاريخياً عملاقاً لا تملكه أمة من الأمم، وتشغل بقعة جغرافية متصلة ومتشابكة وممتدة برباط أخوة الدين، وتحيا لهدف واحد هو إعلاء كلمة الله، وتعبيد العباد لربهم، وتحريرهم من عبودية الأنذال إلى عبودية الله عز وجل، وأي واحد من جنود الجيش الإسلامي الذي كان يفتح البلاد ويشر وينشر ضياء ونور الإسلام، إذا سأله سيردد جواب ذلك الصحابي الذي سئل: ما جاء بكم؟ فقال: الله جاء بنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الديان، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، أو كما قال رضي الله تعالى عنه.⁽¹³⁹⁾

¹³⁸ اللغة الأويغورية هي أقدم اللهجات التركية كتابة في عائلة اللغات التركية. وكان استخدامها بهذا الاسم (اللغة الأويغورية) في عهد دولة الأورخون الأويغورية (646م-840م)، ثم مع قبول أتراك الأويغور الإسلام في عهد الدولة القرّة خانية (الخاقانية) (840م-1312م): بُدلت حروف اللغة الأويغورية إلى الحروف العربية، والتي سميت بـ"اللغة الخاقانية". وأما بعد احتلال المغول هذه البلاد سميت بـ"اللغة الجاغاتائية" باسم حفيد جنكيزخان القائد المغولي بالأحرف نفسها، كما سميت لغات أتراك الأناضول باللغة العثمانية باسم عثمان بن أوطغرل المؤسس للدولة. فتوارثها الأجيال من القرن الرابع عشر إلى أيامنا بهذا الاسم والحروف، وازدهرت أدباً وبلاغة. وللتفاصيل ينظر كتاب "شهرقي توركستان قوللانمسي" ص28-30، شهرقي توركستان وهقي، 1999، ئستانبول.

¹³⁹ محمد إسماعيل، العقيدة الصحيحة هي الركن الأعظم للهوية الإسلامية، ص4، دروس الشيخ المكتبة الشاملة الحديثة. الرابط:

<https://al-maktaba.org/book/32185/1075#p2>

ثانيا: الهوية الإسلامية لشعب تركستان الشرقية:

فهذه الهوية الإسلامية المذكورة لشعب تركستان الشرقية / (إش أو ح ذ) نضجت عبر التاريخ المديد من الزمن، وأصبح موقعهم جزءا أساسيا من الرقعة الإسلامية مبكراً، وهو الموطن الأم للأتراك القدامى من جهة أخرى. بالإضافة إلى أن كان الإقليم محطةً وملتقى للحضارات المزدهرة عبر التاريخ كحضارات الفرس الساسانيين وحضارة الإسلام وديانات الأتراك القدامى كالبودية والمانية والنصرانية.

وأما الخلافات حول استعمال اسم الأويغور لهذا الشعب؛ فإنه اسم ظهر من القرن السابع الميلادي لأحد أقوى القبائل التركية حينئذٍ، وكان تسمى دولتهم بـ "إمبراطورية الأويغور" (646م-840م)، ولكنه استمر اسماً للترك بشموليته على جميع الأتراك حتى بداية القرن الماضي.

وبعد غلبة الثورة البلشفية 1917م في آسيا الوسطى بدأت مصطلح "الترك" يختص بأتراك الأناضول بمبادرة الروس البلشفية، وذلك لتعويق توسع هذا الاسم (الترك) وإضعاف تأثيره وتأثير مصطلح تركستان الجغرافية؛ حيث عقد "مؤتمر طشكنت" عام 1921م في مدينة طشكنت، وأخذ القرار بتسمية شعوب تركستان الغربية بأسماء القبائل المعروفة عبر التاريخ، وأتراك تركستان الشرقية باسم الأويغور العريق؛ فنشر الفكر القومي الأويغوري في المجتمع، ومن ثم تم ربط الناس به بالقوة، مع إجبارهم على إنكار اسم الترك عام 1937م.⁽¹⁴⁰⁾

فعلى كل: اسم الأويغور -على المستوى الدولي- مصطلح يراد به الشعب الأويغوري، وليس الجغرافيا للإقليم (تركستان الشرقية)، وتم تكريسه بعد اعترافات الدول للحدود في أوساط القرن الماضي، لحدود الدول المستعمرة والمستعمرة. فأنا أؤكد أن الأويغور شعب عريق مسلم من أعرق الأصول التركية التاريخية.

كما أن مصطلح تركستان الشرقية مصطلح سياسي يدل على تلك الجغرافية التي يعيش فيها الشعب الأويغوري -غالبية السكان فيها- وغيرهم من القازاق والقرغيز وطاجيك ومنغول وغيرهم، وهو الذي حاولت الصين محوه من الصفحة التاريخية منذ احتلالها، في الداخل والخارج، وتكريس نسبتها إلى

¹⁴⁰ وهذا يعتبر من أبرز الحركات البلشفية في تمزيق شعوب تركستان الكبرى. وبعبارة أخرى اصطَلَحوا "آسيا الوسطى" للجغرافيا، لتكريس سيطرتها على تلك الأراضي الشاسعة، واخترعوا قوميات متفرقة من داخل القومية التركية هناك. ولمزيد من التفاصيل ينظر كتاب تاريخ تركستان الشرقية للأستاذ محمد أمين بوغرى.

الهان الصينيين من حيث المنشأ والتطور وتاريخ التمدن والسياسة. كما ظل الشعب يكافح من أجل المحافظة على هذا الوعي وتوريثه نقله إلى الأجيال القادمة.

ثالثاً: تأثير الصين في لغات شعوب تركستان الشرقية:

كان الشعب الأويغوري أسوة لبقية القبائل التركية في المعرفة والعلم، كما كان في اختراع الثقافة الجاذبة والاهتمام بالتعليم، وكذلك في مبادرة القبول للإسلام الأول. وكانت مدينة كاشغر العريقة تعرف كأهم مراكز الثقافة والتعليم الهامة بين عام 840-1212 لجميع العالم التركي والإسلامي في أيام السلالات القرة خانية؛ وأصبحت لهجتهم التركية معتمدة في التعليم والتدريس في المدارس لبقية القبائل التركية. أو بتعبير الأستاذ آلتكن "كان الإقليم "مهد طلاب العلوم وكعبة العلماء".⁽¹⁴¹⁾

من المعروف أن الصين أقيمت كدولة تتبنى المبادئ الشيوعية تستهدف محو خصوصيات الشعوب وإزالة الفوارق الثقافية والمميزات في طبقات المجتمع؛ تقصد بها استيعاب الأقليات. فقد استمرت في سياستها لاستيعاب لغات الشعوب الأقلية، خاصة في إقليم تركستان الشرقية، عبر تحريف أسماء الأعلام والأشخاص والمدن وغيرها، واتخاذها الشكل واللفظ الصيني، حتى أصبح الأجانب يتعاملون مع هؤلاء الشعوب المسلمة على أنها أسماء صينية، ويضطرّ التركستاني إلى استعمالها بأشكالها المحرفة ما دامت في الوثائق الرسمية؛ فمثلاً: يكتب اسمي ولقي بالعربية: "محمد أمين نورمحمد، وهو في الوثائق الرسمية باللغة الصينية بـ"ماي ماي تي من نو ئر ماي ماي تي"، ويمكن قياس بقية الأسماء عليه.

والأسلوب الثاني هو فرض الكلمات الصينية في الاستعمال اليومي للشعوب، حتى أن الفرد إذا استمع لأحد المتحدثين الأويغور، وخاصة في المدن الشمالية المتطورة كأورومجي وكورلا يكاد لا يفهمه لكثرة مفرداتها الصينية.⁽¹⁴²⁾

وبهذا ضاعت الكثير من لغات الأقليات المسلمة في الإقليم، وتم تلقيحها باللغة الصينية في استعمال المفردات الصينية، بسياسات ممنهجة خاصة بلغات الأقليات، بعنوان "سياسة الدولة اللغوية"، لتنحية تلك اللغات عن المجتمع الصيني العام، وكما أسست لجنة خاصة للغات الأقلية في حكومات

¹⁴¹ آلتكن، عيسى يوسف، قضية تركستان الشرقية، ص 33-35. دار تكلمان الأويغورية.

¹⁴² ينظر آلتكن عيسى يوسف، قضية تركستان الشرقية، ص 137.

الإقليم يرأسها الحزب الشيوعي في الحكومة المركزية، وتمهيداً لطرق إحقاقها واستيعابها باللغة الهان الصينية الأغلبية. (143)

رابعاً: المذهب الحنفي ضد تأثير الشيوعية في الدين الإسلامي (تدخلها):

قد لوحظ أن شعوب تركستان الشرقية فقدت الكثير من معالم الإسلام منذ الاحتلال، في مقابل القمع والضرب الذي نفذ على هويتهم، ومع ذلك قد نلاحظ تمسكهم بالمذهب الحنفي كأحكام فقهية ومرجع لمرافعاتهم القضائية إلى المشايخ الأحناف.

كان تمسكهم به وكفاحهم من أجله أقوى بكثير بالنسبة لبقية مسلمي آسيا الوسطى، فلذلك يتميز الشعب التركستاني كمجتمع متماسك من ناحية الفكر الإسلامي السليم والعقيدة. ثم جاء بعد ذلك فكرة الخلافة الجامعة التي يمثلها السلطان عبد الحميد الثاني، وتأثرهم بالحركات الإصلاحية والتجديدية التي يقودها أمثال الشيخ إسماعيل الغسفرالي¹⁴⁴ ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا في مطلع القرن الماضي.

كما تدل عليه ملامح ثورات الشعوب التركستانية ضد الاستعمار الصيني الروسي وقيام جمهوريتي تركستان الشرقية في عامي 1933 و1944. وبعد الحرب العالمية الثانية وبالأخص بعد إعلان قيام دولة الصين الشعبية بقيادة الحزب الشيوعي؛ بدأت كل من الصين وروسيا الهجوم لمحو الفكرة الإسلامية بشكل عام حتى اليوم.

أما واقع الإسلام الحالي يؤلم كل ضمير إنساني؛ إذ كاد يضمحل من حياة الشعوب عبر حملات مستمرة على هوية الشعوب الدينية، وازمحل بتأثير من تلك الحملات الإعلامية الحمراء الشرسة، والحرب الفكرية نحو المعالم الإسلامية وأيديولوجيتها لإسراع استأصال الشعوب المسلمة جذرياً.

¹⁴³ سياسة تخص بتعديل اللغات لجميع الشعوب الصينية، وخاصة للأقليات والأقاليم النائية، كتركستان الشرقية وإقليم التبت وغيرها.

¹⁴⁴ قد يعرف بـ إسماعيل غسبرينسكي وغسبرالي (20 مارس 1851 - 11 سبتمبر 1914)، مفكر ومعلم وناشر وسياسي قومي.

وكان واحداً من أوائل المثقفين المسلمين في الإمبراطورية الروسية، الذين أدركوا الحاجة إلى التعليم والإصلاح الثقافي وتحديث المجتمعات

التركية والإسلامية. واسمه نسبة إلى بلدة غاسبرا في شبه جزيرة القرم. ينظر إلى DİA İsmail Gasfıralı.

خامسا: تأثير الصين في مظاهر اللباس والفنون الثقافية الأهلية في تركستان الشرقية

يُعد شعب تركستان الشرقية، خاصة أترك الأويغور أغنى شعوب آسيا الوسطى في تلون المظاهر الحياتية ومهارة المعمار وتنوع الفنون الثقافية، فكان لباسهم الرجالي والنسائي يُصدّر في الصيف والشتاء إلى شعوب آسيا الوسطى، ومازال القماش الأطلسي الحريري والطاقيات الرجالية يمثل شهرتهم منذ زمن بعيد. وقد تدخلت السلطات الصينية في هذه الثقافة، ومنعت معظمها، ومن ثم ضاع الكثير منها في السنوات الأخيرة. قد تبرز هذه الإبادة الثقافية بالعنوان الآتية:

1. *تغيير ثقافة اللباس*: بحظر السلطات الصينية ارتياد الحجاب والتنورة والعباءة للنساء، وتربية اللحى والشوارب للرجال بتهديد بالسجن والجزاء المالي - لوحظ أنهم فقدوا كثيرا من تلكم الثقافة الغنية في الأخير، مثل ارتداء الرجال القبعة والرداء والقميص وغيرها مما كان يلبسه الرجال، والعباءة وخمار الحشمة وارتداء القميص الطويل وغيرها للنساء.
2. *انهيار ثقافة المعمار*: قامت فروع وزارة الإسكان والأراضي بمنع تطوير المظاهر الثقافية في المعمار الأهلي والإنشاءات وأزياء سكنات البيوت، في ضمن "سياسة التصيين"، كما هدمت كثيرة من المعالم الآثارية والتاريخية والدينية أو ما يعادل لحضارة وثقافة لشعب تركستان الشرقية منذ حروبها الاحتلالية في الإقليم. كما تم تدمير حصون المدن الأثرية والآثار التاريخية، والتي هي مُعلمة أنها تدل على المعالم الإسلامية، وحتى أدت السياسية إلى هدم المنارات والمآذن وبوابات المساجد في جميع مدن تركستان الشرقية.
3. *فرض الديكور الصيني للبيوت والشقق*: استوعبت هذه الحملة -في الفترة الأخيرة- نحو معظم ما تخص للشعب، من طراز المعمار البنائي إلى الفراش في غرفة النوم. ومن منع إعمار المساجد وترميم مآذنها وبواباتها وتزيينها بفنون النقوش التاريخية والإسلامية إلى أزياء بيوت الشعب، وإعادة بنائها بعد التدمير الإجباري والهدم.⁽¹⁴⁵⁾

¹⁴⁵ إلا أن الشعب حُظي باستعادة وإحياء بعض المعالم الحضارية والتقليدية التي تمثلهم ثقافتهم الإسلامية، خاصة في فترة الانفتاح الصيني، ما بين 1980-1990. وأما الآن هدمت تلكم المساجد والقبعات وغيرها منذ صعود الرئيس الحالي شي جينبيغ، سندكر تفصيله في المطلب التالي فيمت يتعلق بالمساجد. 'Muhammed Emin Uygur، تحولات مواقف الدول العربية تجاه قضية الأويغور، 'مُنتدى السياسات العربية. 1-18، (Istanbul, 2019).

الخلاصة: اضمحلت مظاهر هوية تركستان الشرقية في الآونة الأخيرة بتأثير من تلك الحملات الإبادة الجماعية؛ وانقرضت كثير من الحرف اليدوية اللطيفة التي تبهر العقول وتحتل الأسواق قبل الاكتشافات التكنولوجيات. وخسرت آثارها الحضارية والتاريخية والثقافية، وحتى تقاليد الشعوب، من عناصر هذه الهوية الإسلامية، من لغة ودين ومعالم تاريخية وحضارية وفنون ثقافية.

بالإضافة إلى ذلك، لا يكاد يرى أي دور للمذاهب العقدية والفقهية منها المذهب الحنفي، التي حافظت عليها الشعوب منذ قرون بعيدة. وأدّى هذا إلى الفوضى والاختلاط، أو كسلاح في تطبيع المنحرفين مع المستعمرين، لعدم الإمكانات للحصول على الكتب والمراجع الدينية والتاريخية.

المطلب الثاني

دور المذهب الحنفي ضد تشويه الصين للهوية الإسلامية لمسلمي الأويغور في مجتمع التركستاني

حتى الآونة الأخيرة، كان الشعب التركستاني يتخذ المذهب الحنفي كدستور المعيشية له وقالب الحياة، سواء في العبادات أو في الحدود الشرعية من كل الجوانب، ويراجعون في الدعاوى القضائية إلى المفتي الخاص في كل بلدة، مفاضلاً إياه بدل المحاكم الصينية والدوائر الحكومية. يدل هذا على مدى تمسكهم بالمذهب الحنفي وكونه ممزوجاً بدمائهم. والواقع الحالي من تلك الحملات الإعلامية الحمراء الشرسة، والحرب الفكرية نحو المعالم الإسلامية وأيديولوجيتها كاد أن يغيب هذا الدور جذرياً.

من المعروف أن شعب تركستان الشرقية بعد فقدته حكومته تفرّد علماء الشريعة في ساحة تنوير الشعوب المسلمة ومواجهة الجهل والأمية. وفي ظل غياب الجو التعليمي لهم ساهموا في تطوير الأدب والشعر واللغات والتوعية للشعوب، بمدارسهم أو مواظهم لهم فيما تمكنوا، وقد ساهموا في ترسيخ العلوم الأخرى مثل الرياضيات والتاريخ والجغرافيا وغيرها، واقفين مع المثقفين جنباً إلى جنب في إحياء الأدب واللغة، وإحياء التاريخ والثقافة إلى أن تعرض الشعب لاستعمار الصين الشيوعية.¹⁴⁶

وبعد احتلال الصين الشيوعية حاولت تمزيق المجتمع بالتفريق بين الركن النخبوي الذي يقود المجتمع التركستاني، فكرياً ومعنوياً؛ فنشروا بذور الفتنة والتباغض بين أصحاب المعرفة، لإضعاف تأثيرهم لدى

الشعوب المسلمة، ومن ثم وظّف بعض المثقفين المطبّعين في الدوائر الحكومية وأنظمة التعاليم الحكومية لتطبيع اللغات الأهلية والكتب الدراسية في المدارس والجامعات مع سياستها، في مقابل رواتب رمزية ضئيلة، أو بتهديد بالغ على حياتهم وأسرهم. وكما تعاملت مع بقيتهم بمعاملة الخونة للوطن وكمسممي الشعب ومنع للتخلف.

ومن الجدير تأكيده أن تحركات السلطات الشيوعية تجاه أفكار الشعوب واحتكارها في الفكرة اللادينية (الإلحادية) ومبادئها الشيوعية، بالتدخل الشامل في جميع الأنشطة الدينية، وحرها الأيديولوجية عليها، عبر استخدامها بما تملكه من كل وسائل القوى القاسية والإعلامية وتشويهها بالهجاء وتحقيرها. أما سعي السلطات الصينية إلى صياغة الإسلام بالصبغة الصينية، وإعادة تفسير القرآن الكريم والكتب الدينية وفقاً للأيديولوجيات الشيوعية، وبما يروج النظام الاشتراكي الشيوعي، ويقده؛ هذه من الظواهر السياسية الجديدة كانت تخفيها منذ سبعة عقود من الاحتلال، وأظهرتها متغطرة حينما تقوّت في السنوات الأخيرة.

وتبرز هذه التضييقات السياسية على العلماء وأصحاب المعرفة بالطريقتين الرئيسيتين التاليتين:

1: سياسة إذلال العلماء الشرعيين

رغم استغلال السلطات الشيوعية لمكانة العلماء في قلوب الشعوب، استخدمت أسلوب السخرية منهم وتحقيرهم في وجه الشعوب، بإجبارهم على الرقص الصيني أمام الجماهير، وإعلانها أنهم كواد حكومة أو رجال دين، أو ما يشابه بما يُنقصهم ويُقرهم. ولا يوجد لهم أي قدر في المجتمع، سوى الإمامة للصلوات والصلاة على الجناز، ولاستغلالهم في إعلام برامج الحزب الشيوعي. بالإضافة إلى أنهم سلبوا من حق إصدار الفتاوى والوعظ بحظر من جهة الحكومة رسمياً.⁽¹⁴⁷⁾

وتم تعيين الجهلاء أئمة وخطباء بدلاً منهم في المساجد، حتى معظمهم أميون لا يعرفون الكتابة والقراءة، ويجبرون على إعلام السياسة الشيوعية، ولتري أنها من روح الإسلام، أو يوافق مع الإسلام

¹⁴⁷ ينظر: عبد الحكيم باقي إلتيير، دليل تعريف تركستان الشرقية. ص96، ط وقف تركستان الشرقية. 1999. (نابذولكهكم باقي ئلتيرش، شهرقي توركستان قوللانمسي، 96 بهت، توركستان وھقي، 1999 ييل، ئستانبول).

ومبادئ المسلمين. وتم إجبارهم على الرقص الصيني الجماعي والفعاليات الثقافية التي تعقدها السلطات المحلية لتعويد الشعب على مخالفة الإسلام.

كما أعدمّت السلطات الشيوعية الكثير من العلماء عبر تنفيذ سياسة الاعتقال والخطف في معسكرات التثقيف السياسي"، بعد إذلالهم وتحقيرهم وتعذيبهم الجسدي والروحي أمام جماهير الشعوب. فضلاً عن ذريعة نشر الخوف والمهابة للحكومة في قلوب المسلمين بهذه القسوة والشناعة.

وبالإضافة إلى أنهم حظروا من استعمال المصطلحات الدينية، كالحلال والحرام، والحديث عن مبادئ الإسلام في حياة الشعوب المسلمة. كما مُنعوا عن الاجتماع على أي نشاط ديني، كحضور الميّت للصلاة عليه، أو للتعزية والدعاء، والحضور الجماعي عند خطبة النكاح والعقد، وإنما تعقدها الحكومة بنفسها. وكما مُنعوا من تعليم الأطفال قراءة القرآن الكريم وأداء الصلاة، وغيرها من الأنشطة الدينية والطقوس الإسلامية في أسرهم.

وقد عينت السلطات الشيوعية عليهم عيوناً خاصين بهم يراقبونهم في جميع أنشطتهم ليلاً ونهاراً، ويجبرون على التوقيع في التعاهدات اللامتناهية التي متى جاءتهم أوامر شيوعية هم مطاوعون لها بكل الإذعان. وهناك عيون آخرون يراقبون المسلمين طوال الزمن، يسجّلون سجاتهم وطبائعهم، ورؤيتهم ومستواهم في الدين، ومن ثم من المحال أن يوجد أحد يجرأ تعليم أولادهم الدين الإسلامي، خاصة في الآونة الأخيرة.

وفي ظل سياسة "تسييس الدين الإسلامي" للسلطات الصينية قامت بإبعاد دور الدور في الشؤون الأسرية والاجتماعية للشعوب المسلمة، بوضع القانون الرسمي فيه منذ 2001، والتي سمتها ب"قوانين الصين الخمسة للدين"؛ حيث يُعبّر البند: أن "لا يسمح للدين التدخل في خمسة أشياء:⁽¹⁴⁸⁾

- أ. النكاح: لا يتدخل أي شخص في شؤون النكاح، والكل يخضع لقانون النكاح الصيني.
- ب. الطلاق: لا حق لرجال الدين في تفريق وجمع بين زوجين باسم الطلاق.
- ت. الميراث: الميراث يوزع لكل الوارثين بنظام القانون الميراث الصيني، فمن ادعى نظم الميراث الإسلامي يعاقب بالسجن والمصادرة لأمواله بتهمة التطرف الديني.

¹⁴⁸ القرار الذي اتخذ في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي، المادة 3. 1996 مارس 19. (1996-يولي 3- ناينينغ 19 - كوندسكي كومبارتنيه 8 نؤؤهتلك ئؤؤؤى ييغن قارارنامسى، 3 ماددسى).

ث. قانون تحديد النسل: منع الولادة للنساء بحيث لا صلاحية لأحد في الحديث عن قانون تحديد النسل، فمن خالفه من علماء أو رجال الدين يُعدّ إرهابياً.

ج. قانون التعليم الإلزامي: كل مواطن صيني يلزم عليه تطبيق قانون التعليم الإلزامي التحضيرية لأولاده، من المدرسة التحضيرية إلى الثانوية، فمن ثم لا أحد يخالف عليه ولا يتحدث عن هذه التعاليم، والدولة لا تعرف التعليم الديني، بل تمنعه بشكل عام.

فمن ثم لا يستطيع أي واعظ أو إمام أن يتحدث عن دائرة الأمور الخمس السابقة، بأي وسيلة، أو تحت أية ظروف، وإلا سيعاقب كمجرم سياسي بقسوة. (149)

وهناك شعارات أخرى يسمعها الشعب يومياً عبر الإذاعات ووسائل الإعلام، وهي صياغة الإسلام بما يوافق المبادئ الشيوعية، وذلك العمل يتحقق بترجمة القرآن والكتب الدينية حسب رؤية الأيديولوجية الشيوعية. وبالفعل تم ترجمة القرآن الكريم من جديد بإخراج بعض المصطلحات التي تشير إلى القوة والسلطة الدينية والحكم بالإسلام وغيرها، أو تغييرها إلى كلمات تشير إلى تطبيع الدين مع الشيوعية، كمثال على ذلك إخراج كلمة "الجهاد" وتغيير كلمة "الكافرين" إلى "غير المسلمين" ... وألخ.

كما يلاحظ هذا من تصريحات يانغ فا مينغ 杨发明، (الرئيس العاشر للرابطة الإسلامية في الصين)، في الجلسة العامة للجمعية العامة في المؤتمر الاستشاري السياسي الشعبي الصيني الثالث عشر، 10 مارس 2018 في بكين، وألقى خطاباً يمكن وصفه بـ "تصيين الإسلام": قال فيه: "يجب تعليم القيم الاشتراكية الأساسية في المساجد؛ تلقين "درس الوطنية المسلمة" في المساجد فأصول اللياقة الدينية والثقافة الدينية والعمارة الدينية، كل هؤلاء يجب أن يجسدوا سمات صينية وأنماط صينية وأساليب صينية، والمجتمع الإسلامي سوف يرفض ويمنع التطرف الديني كأهم جزء من ممارساته، ويلفظ الشر، ويقتلع جذوره...". (150)

¹⁴⁹ قانون تردده الوسائل الإعلامية يومياً ليل نهار، ويلصق على الجدران، والفانكارت واللوحات الإعلامية في أنحاء البلاد؛ حيث يشغل الشعب بالاجتماع المتسلسل لتوعيته بروح تلك القرارات الحاسمة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي كدستور إضافي.

¹⁵⁰ يانغ فا مينغ، الالتزام بنهج الإسلام الصيني في الصين في العاشر من مارس 2018، ألقى يانغ فا مينغ 杨发明، رئيس الرابطة الإسلامية في الصين، في الجلسة العامة للجمعية العامة في المؤتمر الاستشاري السياسي الشعبي الصيني الثالث عشر.

خلف تلك المعاملة للأئمة والعلماء لوائح دعاية أخرى لهم في الرقص الصيني الجماعي، وبما يُنقص من مكانة العلماء لتعتاد الشعوب عليه، وبالرغم من ذلك هناك تهم أخرى عليهم بأنهم مسببوا الفقر والجهالة، عبر كتابات على الجدران والطرق العامة بمراى الناس، وبوسائل الإعلام الحكومية، كالتلفزيون والإذاعة والجرائد والمجلات والمنشورات الدورية وغيرها، مع ترويج حرية الاعتقاد اللادينية والإلحاد وترغيب الشعوب بالخروج من الدين، بمقابل منع أية نشاطات دينية.

وهناك قوانين خاصة لتعيين الأئمة والخطباء في المساجد تُطبق من قبل الحكومة، وليس من حق الجماعة والمصلين أن يختاروهم، وذلك تحت رقابة الشروط التي تضعها دوائر الحزب الشيوعي، منها: (151)

أ. أن يكون الإمام ممن يحب قيادة الحزب الشيوعي والنظام الاشتراكي، ويدافع عن المبادئ الشيوعية. ويعتقد أن الخوف الأساسي على أمن تركستان الشرقية هم الانفصاليون والإسلاميون.

ب. أن يراعي كافة أوامر الحزب الشيوعي والسلطات المحلية في جميع تحركاته ونشاطاته في المساجد وخارجها، ويحمي الاتفاق والتعايش بين الصينيين المهاجرين والسكان المسلمين الأصليين.

وبعد الأئمة والخطباء كوادر حكومية غير الحزب؛ بمعنى أنهم موظفون يمثلون الحكومة أمام المواطنين المسلمين، ولا غير، ولا يستطيعون القيام بغير ما رسمها لهم الحزب الشيوعي.

كما أوضحنا في الفقرات السابقة من أن السلطات الشيوعية قضت على التعاليم الدينية والمدارس الدينية خارج إطار المبادئ الشيوعية أنحاء البلاد، إلا أن هناك نسبة ضئيلة خلف الأنظار تحت مراقبة حديدية تؤدي دورها في مواجهة الجهل والأمية لأبناء الإقليم في المدارس الأهلية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم بشكل سرّي تام.

وقد ازدادت هذه التضييقات الصينية على مساجد تركستان الشرقية مرحلة ومرحلة، حتى أن أشعل الرئيس الحالي شي جنبيغ النيران على الإسلام ومعاله ومنع أداء طقوساته، وأصدر قرارات حاسمة في

¹⁵¹ ينظر القرار الذي أصدرته إدارة لجنة الشؤون الدينية لولاية خوتن بمادة 9، 1996. (خوتن دن نشتار ننداريسى مهخسوس دن باشقوروش كومنتنتى قارارى، 9- ماددسى، 1996 يلى). وه 1996-يلى 3- نايننك 19 - كوندكى كومبارتنيه 8 نوؤمتلك ئومؤمى يىغن قارارنامسى، 3 ماددسى. (قانون لجان الشؤون الدينية لولاية خوتن، مادة 9. عام 1996).

تقصّي أدواره من المجتمع بشكل عام، وأمر دوائر السلطات المحلية بتغيير المساجد المتبقية بأجواء تمثل الشيوعية، مظهراً وقابلاً، فنفذتها السلطات المحلية في الإقليم، بتبديلها إلى مراكز التثقيف السياسي ومعسكرات ترسيخ الفكرة الشيوعية.

وفي ظل هذه الإجراءات خسرت المساجد الكثير من مظاهرها وزخارفها ومكاتبها، كما خسرت من أنشطتها الدينية المعهودة. ومن هذه الخسارة اختصاراً:

2 : الخسائر الظاهرية تخص لمظاهر المساجد

أ. منع تأسيس الجوامع والمساجد من جديد: وذلك بقرار السلطات المحلية وأمرها لكل لجان الشؤون الدينية في المدن والأرياف. ومعنى هذا: إذا تهدم أي جامع أو مسجد بسبب آفات بيئية أو بظروف طارئة لا يجدد بتاتاً، ولا يصلح ما تضرر إلا برقابة السلطات المركزية مباشرة.⁽¹⁵²⁾

ب. نقلت معظم المساجد إلى أماكن نائية في القرى والأرياف، بسياسة إبعاد المساجد عن المرأى والمنظر للناس. والواقع الحالي إن معظم المساجد تقع عند مقابر أو أوساط مزارع تبعد مواقعها عن البيوت السكنية للشعوب.

ت. أزيلت علامات الهلال التي تمثل الإسلام من رؤوس المنارات وجدران المساجد. وهدمت منارات المآذن والقباب على المساجد وبواباتها، بزعم أنها تخالف تقاليد الصين الشيوعية وشعب الهان الملحد.

ث. مُحيت الزخارف والنقوش الإسلامية من جدران المساجد، وطُمست الآيات الكريمة والأحاديث والأذكار والأدعية منها التي كانت في جدرانها أو سقوفها وأركانها، أو على البوابات والمآذن، وعلق العلم الأحمر للحزب الشيوعي على المحراب والمنابر والمآذن.

ج. أزيلت المكتبات الدينية فيها، وحظرت الكتب فيها بشكل عام. وكان سابقاً لكل جامع ومسجد مكتبة خاصة، توجد فيها مصاحف مترجمة وبعض الكتب الفقهية البسيطة،

¹⁵² خوتن دين نئشار ئندارسى دين باشقۇرۇش كومىتېتى مەخسۇس قارارى، 9- ماددىسى، 1996 يىلى. (قرار / قانون صادر من لجان الشؤون الدينية لولاية خوتن، مادة 9. عام 1996).

التي لا يستغنى عنها عادةً في حياة المسلمين في عبادتهم ومعرفتهم في الدين، فصادرتها السلطات بشكل عام ومنعتها.

ح. حُظِرَ استخدام الآليات التقنية في المساجد: كاتخاذ مكبرات الأصوات في الصلوات والتقويم الإلكتروني وغيرها.

3: خسائر الأنشطة والطقوس الدينية

أ. حُظِرَ إسماع الأذان إلى الناس عند أوقات الصلوات خارج المسجد؛ إذ يؤذن للصلاة في

داخل المساجد، ويمنع الأذان في المآذن، بتبرير أن يؤثر صوت الأذان في أذهان الطلاب والموظفين في الدوائر الحكومية وغيرهم.

ب. ألغِيَ برنامج تدريب نُؤَاب الأئمة والخطباء: وكان يسمح له سابقاً لكلِّ إمامٍ في الجوامع المركزية تربية ثلاثة تلاميذ من الشباب في الإمامة والأذان وإلقاء الخطاب للجماعة، ولكي ينوبون عن الأئمة والخطباء في الإمامة والخطبة في المستقبل.

ت. حُرِمَ أئمة المساجد من حق إصدار الفتاوى في شؤون الناس وحلّ نزاعاتهم في المجتمع، وفرض الرجوع إلى الحكومة وليس إلى العلماء، وتنحي دورهم ونفوذهم عند المسلمين.

4: واقع المدارس والمعاهد الدينية في الإقليم

كما أشرنا سابقاً إلى أن السلطات الشيوعية أغلقت، بل خرّبت المدارس الدينية عند احتلالها لتركستان الشرقية إلى أن انتهى عهد ماو تسي تونج (1893-1976)، وأنهت المدارس الدينية بشكل حاسم، ولكنها سمحت للشعب بإنشاء معهد إسلامي صغير للعلوم الإسلامية لإقليم تركستان الشرقية، وذلك في عام 1987 في مدينة أوروغجي عاصمة البلاد، بمساعدات مالية قدمها البنك الإسلامي للتنمية التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، إلى جانب مبالغ وتبرعات من المواطنين، لهدف إعداد كوادر

دينية في علوم الدين ذوي مؤهلات علمية معادلة للمؤهلات الجامعية، وأن تكون مدة دراستهم فيه خمس سنوات، ويستقبل حوالي أربعين طالبا في كل سنتين دفعة واحدة فقط.⁽¹⁵³⁾

دور المعهد - حسب ما أعلنه موقع الشؤون الدينية الصيني وجريدة الشعب الصينية العربية- أنه منذ تأسيسه حتى نهاية سنة 2004 تخرج منه 276 طالبا، منهم 213 يعملون حاليا أئمة في مساجد مختلفة".⁽¹⁵⁴⁾ وفي الحقيقة إن خلف هذه الأرقام تستغل السلطات من هذه المؤسسة الدينية في الدعاية السياسية والعلاقات الدبلوماسية للدول الإسلامية فقط.

واستغلت السلطات منه في تبرير إغلاق بقية المدارس الأهلية ومراكز تحفيظ القرآن التي ظهرت بعد الانفراج السياسي في عهد الانفتاح الخارجي، بدعوى أن الحكومة تنظم المدارس وتنسقها بنظام التعليم الرسمي على مناهج ومبادئ الحزب الشيوعي. رغم أنها خصّت بنداً في دستورها في "أن كل فرد له حرية المعتقدات الدينية، يتمتع المواطن بحرية في دينه"، ومشيرا إلى "أن تطبيق الإسلام هنا تتفق مع المبادئ الاشتراكية والشيوعية في الصين".

وإذا ركّزنا في عدد المتخرجين من هذا المعهد بهذا القدر الضئيل الافتراضي يبرز مستوى هؤلاء الشعوب المسلمة التي يزيد عددهم عشرين مليونا مسلما في هذا الإقليم، فيه 24 ألف مسجد وجامع، وفضلاً عن أن المتخرجين يُوظّفون في الدوائر الحكومية في لجان الشؤون الدينية أو الجمعيات الإسلامية لصالح السلطات الشيوعية، ولا يسمح لهم بالدعوة والأنشطة الدينية، وليس لصالح المجتمع المسلم.

وأما التعاليم السرية استمرت بشكل سري شبه عدم في المدن الجنوبية، تحت ظروف قاسية ورقابة حديدية خطيرة على الأساتذة وطلاب العلم، وهم نسبة ضئيلة لا يمثل واحداً من المائة، يقدمون للمخاطر الوخيمة على حياتهم وأسرتهم وأقربائهم، من سجن ومصادرة أموال.

¹⁵³ جريدة الشعب الصينية، "المسلمون في شينجيانغ: تاريخهم وعقيدتهم وحياتهم"، 3 سبتمبر 2010، تاريخ الزيارة: 6 فبراير 2020. <http://arabic.people.com.cn/100639/100640/7127840.html>

¹⁵⁴ المرجع السابق.

المطلب الثالث

دور المذهب الحنفي في كفاح الأويغور للإلحاد والأيديولوجيات الشيوعية وبعض الفرق المنحرفة

كان العلماء الأحناف والشعوب معا قد تسلحوا بمبادئ المذهب الحنفي على الفرق الدينية في العقيدية والأفكار المتطرفة الأجنبية. وبعد الاحتلال الصيني لتركستان الشرقية بدأ يفقد المذهب الحنفي دوره في الرد على تلك الأيديولوجيات الشيوعية والماركسية والداروينية، وعلى الرغم من استغلال السلطات الشيوعية مكانة العلماء في قلوب الشعوب، ودورهم في الجوامع والمساجد ومداخلتهم في أعراف الناس.

قد يتميز الشعب التركستاني باحترام العلماء فيما بينهم أكثر من غيرهم، لكونهم قادة معنويين، ومكانتهم أعظم من مكانة أي منصب حكومي؛ فأدركت السلطات الشيوعية هذا المقدار لمكانتهم، وبدأ بأسلوب السخرية منهم وتحقيرهم في وجه الشعوب، بإجبارهم على الرقص الصيني أمام الجماهير، وإعلانها أنهم كوادر حكومية أو رجال دين، أو ما يشابه بما يُنقصهم ويُحقّرهم.

ولم تترك لهم أي قدر في المجتمع التركستاني، سوى الإمامة للصلوات والصلاة على الجنائز، ولاستغلالهم في إعلام برامج الحزب الشيوعي. بالإضافة إلى أنهم سلبوا من حق إصدار الفتاوى والوعظ بحظر من جهة الحكومة رسمياً.⁽¹⁵⁵⁾

قد ظهر بعض الشباب المتحمسين المتأثرين بالمنحرفين والمتطرفين في العالم العربي، فجاء دور هؤلاء العلماء الأحناف بالنصائح والإقناع: إلا أن السلطات الصينية فرضت عليهم قيوداً وأغلقوا في السجون والممعسكرات ليبقى المجال يخدم لمصالحها من تبرير جرائمها الوحشية نحو المسلمين للعالم.

تم تعيين أئمة وخطباء من الجهلاء، بدلاً منهم في المساجد، ولأداء المهمات التقليدية كتسمية أولادهم وإقامة صلاة الجنائز، وبدلاً من العلماء الفقهاء الذين يعرفون الأحكام الشرعية. وحتى معظم هؤلاء الأئمة الحكوميون أميون لا يعرفون الكتابة والقراءة. ويجبرون على اتباع إعلام السياسة

¹⁵⁵ ينظر: ئابدؤلكههكم باقى ئىلتىرىش، شىرقىي تۇركستان قوللانمىسى، 96 بەت، تۇركستان ۋەقپى، 1999 يىل، ئىستانبول.

الشيوعية، ولترى أنها من روح الإسلام، أو يتوافق مع الإسلام ومبادئ المسلمين. وتم إجبارهم على الرقص الصيني الجماعي والفعاليات الثقافية التي تعقدها السلطات المحلية لتعويد الشعب على مخالفة الإسلام.

أعدمت السلطات الشيوعية الكثير من العلماء عبر تنفيذ سياسة الاعتقال والخطف في معسكرات التثقيف السياسي"، بعد إذلالهم وتحقيرهم وتعذيبهم الجسدي والروحي أمام جماهير الشعوب. فضلاً عن ذريعة نشر الخوف والمهابة للحكومة في قلوب المسلمين بهذه القسوة والشناعة.

وبالإضافة إلى أنهم حظروا من استعمال المصطلحات الدينية، كالحلال والحرام، والحديث عن مبادئ الإسلام في حياة الشعوب المسلمة. كما مُنعوا عن الاجتماع على أي نشاط ديني، كحضور الميّت للصلاة عليه، أو للتعزية والدعاء، والحضور الجماعي عند خطبة النكاح والعقد، وإنما تعقدها الحكومة بنفسها. وكما مُنعوا من تعليم الأطفال قراءة القرآن الكريم وأداء الصلاة، وغيرها من الأنشطة الدينية والطقوس الإسلامية في أسرهم.

وقد عينت السلطات الشيوعية عليهم عيوناً خاصين بهم يراقبونهم في جميع أنشطتهم ليلاً ونهاراً، ويجبرون على التوقيع في الورقات اللامتناهية التي متى جاءتهم أوامر شيوعية هم مطاوعون لها بكل الإذعان. وهناك عيون آخرون يراقبون المسلمين طوال الزمن، يسجلون سجيّاتهم وطبائعهم، ورؤيتهم ومستواهم في الدين، ومن ثم من المحال أن يوجد أحد يجرأ على تعليم أولادهم الدين الإسلامي، خاصة في الآونة الأخيرة.

وفي ظل سياسة "تسييس الدين الإسلامي" للسلطات الصينية قامت بإبعاد دور الدور في الشؤون الأسرية والاجتماعية للشعوب المسلمة، بوضع القانون الرسمي فيه منذ 2001، والتي سمتها بـ "قوانين الصين الخمسة للدين"؛ حيث يُعبّر البند: أن "لا يسمح للدين التدخل في خمسة أشياء: (156)

1. النكاح: لا يتدخل أي شخص في شؤون النكاح، والكل يخضع لقانون النكاح الصيني.
2. الطلاق: لا حق لرجال الدين في تفريق وجمع بين زوجين باسم الطلاق.
3. الميراث: الميراث يوزع لكل الوارثين بنظام القانون الميراث الصيني، فمن ادعى نظم الميراث الإسلامي يعاقب بالسجن والمصادرة لأمواله بتهمة التطرّف الديني.

¹⁵⁶ 1996-يلى 3- نايينڭ 19 - كوندكى كومپارتييه 8 نؤؤمتلك ئؤمؤى يىغن قارارنامسى، 3 ماددىسى.

4. قانون تحديد النسل: منع الولادة للنساء بحيث لا صلاحية لأحد في الحديث عن قانون تحديد النسل، فمن خالفه من علماء أو رجال الدين يُعدّ إرهابياً.

5. قانون التعليم الإلزامي: كل مواطن صيني يلزم عليه تطبيع قانون التعليم الإلزامي لأولاده، من مدرسة تحضينية إلى ثانوية، فمن ثم لا أحد يخالف عليه ولا يتحدث عن هذه التعاليم، والدولة لا تعرف التعليم الديني، بل تمنعه بشكل عام.

فمن ثم لا يستطيع أي واعظ أو إمام أن يتحدث عن دائرة الأمور الخمس السابقة، بأي وسيلة، أو تحت أية ظروف، وإلا سيعاقب كمجرم سياسي بقسوة. (157)

وهناك شعارات أخرى يسمعها الشعب يومياً عبر الإذاعات ووسائل الإعلام، وهي صياغة الإسلام بما يوافق المبادئ الشيوعية، وذلك العمل يتحقق بترجمة القرآن والكتب الدينية حسب رؤية الأيديولوجية الشيوعية. وبالفعل تم ترجمة القرآن الكريم من جديد بإخراج بعض المصطلحات التي تشير إلى القوة والسلطة الدينية والحكم بالإسلام وغيرها، أو تغييرها إلى كلمات تشير إلى تطبيع الدين مع الشيوعية، كمثال على ذلك إخراج كلمة "الجهاد" وتغيير كلمة "الكافرين" إلى "غير المسلمين" ... وألخ.

كما يلاحظ هذا من تصريحات يانغ فا مينغ 杨发明، (الرئيس العاشر للرابطة الإسلامية في الصين)، في الجلسة العامة للجمعية العامة في المؤتمر الاستشاري السياسي الشعبي الصيني الثالث عشر، 10 مارس 2018 في بكين، وألقى خطاباً يمكن وصفه بـ "تصيين الإسلام": " يجب تعليم القيم الاشتراكية الأساسية في المساجد؛ تلقين "درس الوطنية المسلمة" في المساجد فأصول اللياقة الدينية والثقافة الدينية والعمارة الدينية، كل هؤلاء يجب أن يجسدوا سمات صينية وأنماط صينية وأساليب صينية، والمجتمع الإسلامي سوف يرفض ويمنع التطرف الديني كأهم جزء من ممارساته، ويلفظ الشر، ويقتلع جذوره...". (158)

157 قانون تردده الوسائل الإعلامية يومياً ليل نهار، ويلصق على الجدران، والفانكارت واللوحات الإعلامية في أنحاء البلاد؛ حيث يشغل الشعب بالاجتماع المتسلسل لتوعيته بروح تلك القرارات الحاسمة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي كدستور إضافي.

158 يانغ فا مينغ، الالتزام بنهج الإسلام الصيني في الصين في العاشر من مارس 2018، ألقى يانغ فا مينغ 杨发明، رئيس الرابطة الإسلامية في الصين، في الجلسة العامة للجمعية العامة في المؤتمر الاستشاري السياسي الشعبي الصيني الثالث عشر.

خلف تلك المعاملة للأئمة والعلماء لوائح دعاية أخرى لهم في الرقص الصيني الجماعي، وبما يُنقص من مكانة العلماء لتعتاد الشعوب عليه، وبالرغم من ذلك هناك تهم أخرى عليهم بأنهم مسببوا الفقر والجهالة، عبر كتابات على الجدران والطرق العامة بمرئى الناس، وبوسائل الإعلام الحكومية، كالتلفزيون والإذاعة والجرائد والمجلات والمنشورات الدورية وغيرها، مع ترويج حرية الاعتقاد اللادينية والإلحاد وترغيب الشعوب بالخروج من الدين، بمقابل منع أية نشاطة دينية.

قوانين خاصة لتعيين الأئمة والخطباء في المساجد يتحقق من قبل الحكومة، وليس من حق الجماعة والمصلين أن يختاروهم، وذلك تحت رقابة الشروط التي تضعها دوائر الحزب الشيوعي، منها:⁽¹⁵⁹⁾

أ. أن يكون الإمام من يحب قيادة الحزب الشيوعي والنظام الاشتراكي، ويدافع عن المبادئ الشيوعية. ويعتقد أن الخوف الأساسي على أمن تركستان الشرقية هم الانفصاليون والإسلاميون.

ب. أن يراعي على كافة أوامر الحزب الشيوعي والسلطات المحلية في جميع تحركاته ونشاطاته في المساجد وخارجها، ويحمي الاتفاق والتعايش بين الصينيين المهاجرين والسكان المسلمين الأصليين.

وبعد الأئمة والخطباء كوادر حكومية غير الحزب؛ بمعنى أنهم موظفون يمثلون الحكومة أمام المواطنين المسلمين، ولا غير، ولا يستطيعون القيام بغير ما رسمها لهم الحزب الشيوعي.

كما أوضحنا في الفقرات السابقة من أن السلطات الشيوعية قضت على التعاليم الدينية والمدارس الدينية خارج إطار المبادئ الشيوعية أنحاء البلاد، إلا أن هناك نسبة ضئيلة خلف الأنظار مراقبة حديدة تؤدي دورها في مواجهة الجهل والأمية لأبناء الإقليم في المدارس الأهلية ومراكز تحفيز القرآن الكريم بشكل سرّي تام.

¹⁵⁹ ينظر خوتن دين نئشلار ئندارسى مهخسۇس دين باشقۇرۇش كومىتېتى قارارى، 9- ماددىسى، 1996 يىلى ۋە 1996- يىلى 3- ئاينىڭ 19 - كۈنىدىكى كومپارتىيە 8 نۆۋەتلىك ئۇمۇمىي يىغىن قارارنامىسى، 3 ماددىسى. (قانون لجان الشؤون الدينية لولاية خوتن، مادة 9. عام 1996).

وبعد احتلال الصين الشيوعية حاولت تمزيق المجتمع بالتفريق بين الركن النخبوي الذي يقود المجتمع التركستاني، فكرياً ومعنوياً؛ فحاول إلى نشر شذور الفتنة والتباغض بين أصحاب المعرفة، ولإضعاف تأثيرهم لدى الشعوب المسلمة، ومن ثم وظّف بعض المثقفين المطبّعين في الدوائر الحكومية وأنظمة التعليم الحكومية لتطبيع اللغات الأهلية والكتب الدراسية في المدارس والجامعات مع سياستها، في مقابل رواتب رمزية ضئيلة، أو بتهديد بالغ على حياتهم وأسرهم. وكما عاملت مع بقيتهم بمعاملة الخونة للوطن وكمسممي الشعب ومنبع للتخلف.

ومن الواقع إن تحركات السلطات الشيوعية تجاه أفكار الشعوب واحتكارها في الفكرة اللادينية (الإلحادية) ومبادئها الشيوعية، بالتدخل الشامل في جميع الأنشطة الدينية، وحرّبا الأيديولوجية عليها، عبر استخدامها بما تملكه من كل وسائل القوى القاسية والإعلامية وتشويهها بالهجاء وتحقيرها.

أما سعي السلطات الصينية إلى صياغة الإسلام بالصبغة الصينية، وإعادة تفسير القرآن الكريم والكتب الدينية وفقاً للأيديولوجيات الشيوعية، وبما يروج النظام الاشتراكي الشيوعي، ويقدسه؛ هذه من الظواهر السياسية الجديدة كانت تخفيها منذ سبعة عقود من الاحتلال، وأظهرتها متغطرة حينما تقوّت في السنوات الأخيرة.

وتبرز هذه التضييقات السياسية على العلماء وأصحاب المعرفة بالطريقتين الرئيسيتين التاليتين:

1: سياسة إذلال العلماء الشرعيين

2: كبت المثقفين وواقعهم الحالي

اعتباراً من أبريل/ نيسان 2017 اتهم الحزب الشيوعي شعب تركستان الشرقية بدون استثناء بتهمة التطرف الديني والانفصالي، واحتجزت النخب المتميزة بالعلم والفكر في "معسكرات إعادة التعليم السياسية" في جميع أنحاء الإقليم، رغم أنهم عملوا لصالح الحكومة في استيعاب الشعوب بسياسات الحكومة، وهم من أعضاء الحزب الشيوعي، دون تقديم أية معلومات عنهم، وكما أنهم معروفون بالتطبيع والعمل مع الحكومة منذ الاحتلال إلى الوقت الراهن، لأنهم كانوا ينخرطون معها.

ومع صعوبة الحصول على المعلومات الموثوقة في إحصاء عدد المعتقلين المثقفين في تلك المعسكرات السياسية؛ يشير الإحصاء غير الرسمي إلى أن عددهم يبلغ ثلاثة ملايين، على رأسهم العلماء والمثقفون والفنانون وأصحاب الثروات والمشروعات التجارية. على سبيل المثال: "تم سجن ما لا يقل عن 56 أستاذاً ومحاضراً وباحثاً من الأويغور من جامعة شينغيانغ (جامعة تركستان الشرقية)، محتجزون في "معسكرات إعادة التعليم".⁽¹⁶⁰⁾ مع أن معظم المعتقلين فيها هم الكوادر الحكومية وأعضاء الحزب الشيوعي في المناصب العالية نوعاً ما، أو أساتذة الجامعة تلك أنشأت في عام 1924، ولديها حالياً أكثر من 20,000 طالباً ملتحقون بها، وإذا كان حالهم في تلك الجامعة فماذا ينتظر عن بقية المثقفين والموظفين من جنس مسلمي الأويغور؟.

وفي إطار هذا التمييز العشوائي على هوياتهم وشخصياتهم جاءت التهم عليهم بالتطرف والتجنيد للعنف. كما قال الباحث أدريان زينز:⁽¹⁶¹⁾ "إن حوالي مليون ومائة ألف شخص معتقلون أو محتجزون في معسكرات إعادة التعليم، وهو ما يعادل 10 إلى 11 في المائة من السكان المسلمين البالغين في المنطقة".⁽¹⁶²⁾ كما يلاحظ التحفظ التام على المثقفين الأويغور تحت رقابة صارمة في تركستان الشرقية (شينجيانغ)، ويمكن أن يواجهوا عقوبة قاسية لعدم إلتزامهم بسرد بكن حول كيفية استفادة سياسات الحكومة المركزية الصينية من الإقليم والأقليات المسلمة والعرقية فيه.

¹⁶⁰ إذاعة آسيا الحرة، الرابط: <https://www.rfa.org/english/news/uyghur/professors-09182018151339.html>

¹⁶¹ Adrian Zenz, "Wash Brains, Cleanse Hearts": Evidence from Chinese Government Documents about the Nature and Extent of Xinjiang's Extrajudicial Internment Campaign, November 24, 2019

¹⁶² وهو محاضر في أساليب البحث الاجتماعي في المدرسة الأوروبية للثقافة واللاهوت ومقرها في ألمانيا. وينظر: المصدر السابق.

المبحث الثاني

سياسة السلطات الصينية نحو المذهب الحنفي في تركستان الشرقية

يتناول هذا المصامير التالية:

المطلب الأول

استغلال الصين لمكانة المذهب في ضبط المجتمع التركستاني

من المعروف أن الصين متقدمة بأنها لن تتراجع عن استغلال أي شيء كالدين وأدوات النفوذ الأخرى في المجتمع، سواء في سياستها الداخلية، أو تشكيل علاقة دبلوماسية مع دولة أخرى، في سياستها الخارجية أو الداخلية.

وقد تبرز حالة استغلال الصين في واقع تركستان الشرقية (شينجيانغ) من جانبيين رئيسيين:

الجانف الأول: استغلال الصين لمواقف المجتمع الدولي والمنظمات الدولية والتي تتمثل في علاقتها الدبلوماسية، وخاصة مع الدول الإسلامية في سياساتها في تركستان الشرقية.

الجانف الثاني: السياسات الاستغلالية التي تنفذها عبر أدوار دوائر الشؤون الدينية، ولتراقب جميع التحركات لمسلمي الأويغور وغيرهم من الأقليات، مما يبرز في تنظيم الشؤون الداخلية في تركستان الشرقية (إش أو ذ ح). ففي النقاط التالية نعرض هاتين الظاهرتين:

الظاهرة الأولى: صياغة الإسلام وفق المبادئ الشيوعية

تستغل الصين الإسلام عبر خطط لامعة المظهر وباطنها ترشق السموم للإسلام وأهل الإقليم، ومن ثم لا يبقى هناك دور للمذهب ولا للقيم العرفية والثقافية: وهي باختصار كالتالي:

الظاهرة الثانية: استغلال الصين بتسييس الدين الإسلامي

تحت قيادة الحزب الشيوعي في المكتب السياسي الأول في الصين لجنة تسعى إلى تخطيط استغلال جميع ما يمكن استخدامه من مكونات الحياة الاجتماعية لصالح الحزب على الشعب، ومن السياسات المستغلة:

1. **لجنة الشؤون الدينية الصينية:** أسس الحزب الشيوعي لجنة مركزية تختص بسياسة شؤون الدين، وهي لجنة سياسية خاصة رسمية يرأسها الحزب الشيوعي، ولها لجنة مركزية أخرى في مقاطعات تتبعها لجان فروعية في كل مدن، والتي تتبعها اللجان الفروعية في كل بلديات وقرى وأحياء كذلك، ويرأس الحزب الشيوعي لكل فروعها مباشرة، بأوامر من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. وبهذا التسلسل والتشابك الملتوية يدير الحزب الشيوعي الشؤون الدينية مباشرة دون أية وسيلة أو وسيطة.

2. **الجمعية الإسلامية الصينية:** التي أسست في يوليو عام 1952، لتستغل من الشخصيات الإسلامية البارزة في المجتمعات الإسلامية، من العلماء والخطباء والدعاة في الأوساط. وأعلن تأسيسها رسمياً الجمعية للإسلامية الصينية في المؤتمر الوطني الأول لممثلي المسلمين في 11 مايو عام 1953 في بكين، برعاية من الحكومة المركزية، وتحت قيادتها تأسست منظمات فرعية على مستويات المقاطعة والمدينة والمحافظة، تجاوبا مع توجيهات السلطات الشيوعية، وليست من أجل المتطلبات الدينية والدنيوية للمسلمين في أنحاء البلاد. وكان ظهورها يشكل جسرا فعالا يربط بين المسلمين من مختلف القوميات وبين الحزب الحاكم لسياسة الحكومة. ولم يكن لها دور بارز سوى تطبيع الدين الإسلامي لسياسة السلطات، كسياسة السلطات في إلغاء النكاح الإسلامي للشعب، وتحريض الفتيات المسلمات بزواج مع الصينيين الملحددين المهاجرين،

مع تهديد من قبل السلطات الصينية. في حالة الرفض يعتقل الوالدان والأقرباء للتأهيل السياسي وغسل دماغهم من التمييز والتطرف الديني المزعوم.¹⁶³

تحت رقابة هذه الشبكات الحديدية للسلطات الشيوعية على الشؤون الدينية تراجع دور الدين الإسلامي والمذهب الحنفي تحديداً من حياة الشعب. وبدأ نزوح المجتمع التركستاني عنه في الفكر والفهم والجهل به بشكل عام. كما يبرز هذا الواقع المرير من شعارات الحزب الشيوعي "نحن نخلق إسلاماً صينياً ذا طابع شيوعي"، بحملتها "تصيين الإسلام".⁽¹⁶⁴⁾

مع عدم إجابة على السؤال: كيف ينسجم الإسلام مع الشيوعية، والذي يمثل العلاقة بينهما الماء والنار؟.

3. **استغلالها المساجد والمجوامع:** لا شك في أن السلطات الصينية كانت تستفيد من المساجد باتخاذها مركزاً لتبليغ سياستها ومبادئها الشيوعية للشعب المسلم، استغلالاً لمكانة الأئمة والخطباء المنخرطين معها. وبالإضافة إلى ذلك استغلته في توعية الشعوب المسلمة بواسطة سياسات الحزب الشيوعي ومبادئه، وتبليغ الأوامر السياسية إليهم.

4. **استغلالها المعهد الإسلامي:** حيث يلعب المعهد دور دعاية للسلطات الصينية أنها تسمح عبر هذه المؤسسة في تطوير المستوى الديني وتنمية المجتمع من حيث العلم والوعي، وعندها الحرية الدينية، وأنها مركز في إعداد الأئمة ورجال الدين ذوي المستوى العالي في العلوم الدينية والاجتماعية. وتُظهر أنها مرآة لتطور الإسلام ومكانة المسلمين في المجتمع الصيني.⁽¹⁶⁵⁾

وأما هو في الواقع ليس سوى مركز تدريب الكوادر الحكومية في تسييس الإسلام على المسلمين حسب الرؤية الشيوعية وغرسها. وكما يتخذ كمعرض تسويقي لسياسة الصين الكذب حينما

¹⁶³ محمد أمين نور محمد الأويغوري، المشاركة السياسية للأقليات المسلمة؛ دراسة حالة الأويغور في ضوء السياسة الشرعية.

ص150-170. رسالة الماجستير، جامعة طرابلس - لبنان. 2021.

¹⁶⁴ يانغ بنغ (رئيس الرابطة الإسلامية في الصين)، تصيين الإسلام. صفحة المعرفة. الرابط: shorturl.at/imAO6

¹⁶⁵ مقال سياسة تصيين الإسلام، المرجع السابق.

تستدعي الوفود إليها لعرض نشاطاتها، من مسابقات القرآن وأمثالها أحياناً. وأؤكد أن هذه المؤسسة في الواقع معسكر يُدرّب فيه الموظفون الحكوميون في لجان الشؤون الدينية المختلفة في تركستان الشرقية، ولا غير.

المطلب الثاني

سياسة تجهيل الشعب التركستاني بتعصب وتحريف المذهب الحنفي

كان شعب تركستان الشرقية الأويغور يعرف بأنه من أكثر القوميات اهتماماً بالعلوم بكل أنواعها، وتقديم العلماء الأفاضل في الدين والطب والرياضيات وغيرها للأمة الإسلامية والإنسانية. كما سميت مدينة كاشغر بـ "مهد الحضارة" و "بخارى ثانية" بكثرة رواد العلوم فيها، فقد عرفت بمدارسها وجوامعها التي ينهل منها الشعب المسلم. وساهم أثرياء البلد في توارث التراث الديني والحضاري وتطوير الثقافة واللغات لأبناء الشعب، ومكافحة الأمية والجهل حتى أن سقطت تحت الاحتلال البغيض الأخير للصين الشيوعية.

إلا أنه في أغلب الأحوال، يعرف منتسبو أي مذهب عقدي أو فقهي يتعصب إلى فريقه، ولا يخلو مجتمع تركستان الشرقية من هذا المرض نوعاً ما. بشدة التزامهم بالمذهب الحنفي يتعصبون له وحتى لا يتراجع بعضهم بتكفير الشوافع والحنابلة، والوهابيين السلفيين بالخصوص. وهذا الواقع قد منعهم من الانفتاح إلى مصادر الإسلام ومعارفه منذ أن ظهر الأنترنت وسهل البحث والتعارف على المعلومات الدينية والثقافات الإسلامية الأخرى. وهذا يعني أنهم بعيدون تماماً عن التطورات المعرفية بسبب الضغوط السياسية وقسوة التجريم بمن يحاول هذا.

وقد بدأت سياسة تجهيل الشعوب الأقليات للصين من بداية احتلالها بقيادة الحزب الشيوعي؛ حيث قامت بالحرب على الأديان، منها الإسلام على وجه الخصوص. كما يعرف هذا من شعارها بأن "الدين أفيون الشعوب". قد اتخذت الصين حملات متتابة بتنويع سياساتها نحو العلم والمعرفة والدين،

بالمنع الحتم مرة والاستغلال منه تارة أخرى، عبر منابر المساجد والمدارس الدينية، التي كانت تلعب دوراً بديلاً عن المدارس ودُور العلوم في أنحاء الإقليم التي هي محاضن الشعب في تنوير العقول وتربية الأجيال. كما بدأت سياسة التجهيل بالقضاء على طبقة النخب من العلماء والمثقفين وكل صاحب فكرة في مستقبل البلاد، بالإعدام أو الاعتقال والسجون. وبالفعل استأصلت نفوذهم من الحياة الاجتماعية في ريادة الشعب وتمثيله في الفكر والرأي العام في المجتمع في تركستان الشرقية. ويمكن إبراز هذه النقاط في العنوان التالية:

1: التعاليم الدينية في تركستان الشرقية

كان يداوم التعليم في تركستان الشرقية في المدارس الدينية السرية ممزوجاً بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى، ولم يكن هنا تمييز بين العلوم الدينية والعلوم الأخرى بالاهتمام، كما لم يكن هنا تفريق بين المدارس الدينية وغيرها. وكان يلاحظ أن الذين يأتون على رأس رواد الحركات التنويرية والتجديد في مطلع القرن العشرين هم العلماء. وقد اهتم الشعب الأويغور بتكثير المدارس ودور المعلمين ودور الأيتام ومكاتب الجوامع والمساجد لتربية الأولاد، وكان نموذجاً في التعليم لبقية القوميات الأتراك الإخوة.

ولكن انقضت التعاليم في تلك المدارس وغيرها، دينية أو علومها اجتماعية وطبيعية، وأزاحت أدوار المساجد والمدارس تماماً عن التعليم ومكافحة الجهل والأمية بشكل عام، باحتلال الصين لهذا الإقليم في فترة ما بين 1949 إلى 1978. وكان تسمى هذه الفترة "عهد الانغلاق"، التي تتسم بالكوارث الإنسانية والظلم والاستبداد في عموم الصين؛ إذ الصين الشيوعية أعلنت حربها على كل من يمثل الشعب في المعرفة والعلم، علماء أو مثقفين، بتهمة الرجعية والتخلف ومصابين بالخرافات.

وحتى هدمت مباني المدارس ومكاتب الجوامع الأثرية والتاريخية، وبعضها غُيّرت إلى مرابض المواشي والخنازير ومكاتب السلطات الإدارية، وبعضها إلى معسكرات الجيش. وقد صادرت "ممتلكات الأوقاف والمدارس وأراضيها التي كانت تشكل في عهده الأول خمس الأراضي الزراعية في عهد السلطان هارون بوغرا في القرنين العاشر والحادي عشر".⁽¹⁶⁶⁾

¹⁶⁶ علي البار، محمد، نظرة موجزة لإسهام تركستان الشرقية في التاريخ الإسلامي، ص 5، مخطوط بدون تاريخ ومطبوعة.

وبهذه الإجراءات الإبادية حُرم الشعب من تربية أبنائهم وعمّ الجهل والأمية في المجتمع حتى أصبحت نسبة من يكتب أقل من 10% من المائة، بالإضافة إلى ذلك سادت السلطات الشعب إلى المعسكرات الزراعية والمصانع للعمل الجماعي مع أولادهم، كما هو معروف في العقود الثلاثة المظلمة. ومع انفتاح الصين بدأت التعاليم الدينية في هذه الفترة تنتشط في أرجاء الإقليم وإن كانت بمستويات رديئة للغاية، لعدم من له صلاحية علمية؛ أطلق سراح الكثير من العلماء - كما للمثقفين - من السجون والمعتقلات، وعادوا إلى عملهم العلمي، وبهذا تحرك المجتمع باهتمام بالغ إلى التوجه إلى العلم والمعرفة. وكذلك استغل العلماء بجهود بالغة من سياسة "المناهج التعليمية الحكومية" في إصلاح العلوم الدينية والاجتماعية التي تدوم خارج إطار المدارس الحكومية، وراج التوجه إلى تعليم الدين السري والدعوة والإرشاد بطرق سرّية في المجتمع؛ حيث عمّ تدريس العلوم الدينية للعلماء في البيوت والمدارس السرية ومراكز تحفيظ القرآن الكريم بشكل شبه سرّي في أرجاء البلاد في تلك الفترة الوجيزة، وخاصة في الأقاليم الجنوبية.¹⁶⁷

وتتميز مناهج التدريس في المدارس التقليدية الدينية بمناهج المدرسة الديوبندية عقيدة ومذهباً،⁽¹⁶⁸⁾ وبوسطية والسنة، ذات مرونة سمحة في حياة الشعوب. وقد ساهمت في محو الأمية والجهل؛ فلهذا تتغاضى الصين عن نشاطاتها في فترة الانفتاح في كاشغر وخوتن، ظهر فيها علماء كمدرسين ومربين كعبدالحكيم مخدوم¹⁶⁹ في مدينة كاشغر (قارغاليق)، وعبدالأحد مخدوم في خوتن وغيرهم، وتربى عندهم آلاف من علماء الشريعة.

وبعد التحولات السياسية في حكومة الصين في أواخر الثمانينات توجهت القيادة الصينية إلى تقديم إيديولوجي قوي في مجال التعليم، وإلى تنظيم المناهج التعليمية في عموم الصين؛ فأصدرت "قانون التعليم العالي" في المادة (53) بـ "ضرورة التزام طلبة المعاهد العليا بالقانون والمعايير السلوكية للطلبة، ونظام الإدارة المدرسي والدراسة بجد، وبناء أجسامهم وبناء مفهوم المواطنة والتعاون والاشتراكية، وبإتقان دراسة "الماركسية واللينينية" و"فكر ماو تسي تونج" و"نظرية دينج شياو بينج"، وأن يكون لديهم فكر

¹⁶⁷ محمد أمين الأويغوري، ص 145.

¹⁶⁸ الديوبندية مدرسة فكرية مشهورة أسسها مجموعة من علماء الهند وتنسب إلى بلدة ديوبند، والتي تحتضن جامعة دار العلوم.

¹⁶⁹ الحاج عبد الحكيم مخدوم (1925-1993) العالم الفذ لمسلمي الأويغور، وعنده تربى الآلاف من العلماء والقيادات في أنحاء تركستان الشرقية.

وعمق إيديولوجي"؛⁽¹⁷⁰⁾ وبعده مباشرة بدأت مقدمات دمج واستيعاب الأقليات وطمسها وإضعاف هويتها الدينية والثقافية وقطع صلته بجذورها التاريخية والحضارية لصالح قومية الهان الأغلبية بإجراءات من الدوائر التعليمية.

1. حالة التعليم في المدارس الشرعية:

أهم الكتب المقررة في المدارس الشرعية:

أ. اللغة العربية:

أسماء الكتب	أسماء المؤلفين
الدروس الشفاهية: مفردات العربية والأويغورية	أحمد هاد مقصودي
الصرف: يتكون من (بدان، معزي، زنجاني، عومل في النحو، حركات والكافية في علم النحو	عبد القاهر الجرجاني ابن حاجب
هداية النحو	أبو حيان الأندلسي
مراح الأرواح	أحمد على بن مسعود
تلخيص المفتاح (في علم البلاغة)	محمد بن عبد الرحمن القزويني
مختصر المعاني	للعامة سعد الدين التفتازاني
ألفية ابن مالك	محمد بن عبد الله بن مالك
شرح قطر الندى	ابن هشام
المنطق: شرح عيسى غوجي	أثر الدين الأبهري
القصيدة البردية	عمر بن عبد الرحمن الخربوتي
مفتاح الأدب	عبد القادر داموللا الكاشغري

¹⁷⁰ الورداني، عز الدين، التعليم في تركستان الشرقية، تركستان تايمز. الرابط: [http://turkistantimes.com/m/news-](http://turkistantimes.com/m/news-3042.html)

مقامات الحريري	محمد الحريري
المعلقات السبع	أبو عبد الله الزوزني
الحماسة	أبو عبادة الوليد بن عبيد

ب. في الفقه والأصول:

أسماء الكتب	أسماء المؤلفين
أصول الشاشي	نظام الدين الشاشي
نور الأنوار	أحمد بن أبي سعيد الحنفي
الهداية شرح بداية المبتدي	علي بن أبي بكر المرغيناني
مختصر القدوري	محمد عاشق إلهي البرني
شرح الوقاية	عبد الله بن مسعود تاج الشريعة
الاختيار لتعليل المختار	عبد الله بن محمد الموصللي
فقه السنة	سيد سابق

ت. في التفسير:

أسماء الكتب	أسماء المؤلفين
تفسير الجلالين	للإمامين: جلال الدين عبد الرحمن وجلال الدين أبي بكر السيوطي
تفسير بن كثير	أبو الفداء إسماعيل بن كثير
تفسير النسفي	عبد الله بن محمود النسفي
تفسير البضاوي	عبد الله بن عمر البضاوي

ث. علم الحديث: تدرس الكتب الستة ومشكاة المصابيح بطريق الإلقاء والتسميع

ج. كتب السير والتاريخ: يدرس كتاب نور اليقين والرحيق المختوم كنموذج

والجدير ذكره أن هذه الكتب معظمها قديمة رديئة الخط والتجليد كأنها مخطوط، يرثها جيل عن جيل إخفاءً من السلطات، مع خوف تعرض العقاب القاسي إن اكتشفت. وعلى الرغم من صعوبة الحصول على هذه الكتب في أغلب الأحوال لمنع السلطات الصينية لبيع الكتب الدينية وطباعتها ونشرها، وأحياناً العقوبات القاسية على من اكتشف بهذا العمل.¹⁷¹

2. حالة التعليم في المدارس الحكومية والجامعات في تركستان الشرقية

قد تم القضاء على نهضة التعليم ذات الخصائص الأهلية المزدوجة بالثقافة، وفقد الإقليم التعليم في بداية سقوط تركستان الشرقية تحت حكم الصين، وبعد فشل الصين بقفزتها الكبرى مالت إلى إدراج التعليم داخل المنظومة الشيوعية؛ حيث أدرك دوره في سلخ الشعب عن حضارته وتاريخه وطمس هويته القومية والدينية، وغرس الشيوعية في عقول أبناء الشعب التركستاني المسلم، وتولت الحكومة المركزية الصينية إدارة وتوجيه كل ما يتعلق بالعملية التعليمية مباشرة؛ حيث تنص المادة التاسعة عشر من دستور الصين الصادر عام 1982 على أن الدولة تتحمل مسؤولية تنمية التعليم الاشتراكي، وتعمل على رفع المستوى العلمي والثقافي للأمة كلها، وأنها تقيم وتدير المدارس من مختلف المستويات وتعمم التعليم الأوّلي إجبارياً، وتشجع التعليم الثانوي والمهني والتعليم العالي وأيضا تعليم ما قبل المدرسة.¹⁷²

ولتحقيق هدف الاستيعاب بدأت تنحي المدرسين الأويغور والقازاق من التدريس في دوائر التعليم الرسمية من بداية التسعينيات حتى عام 2001 بشكل تدريجي، وفرضت منهج التعليم الجديد باللغة الصينية، وتسبب هذا في إبعاد الكثير من مدرسي وأساتذة الأويغور بتبرير أن مستواهم رديء في اللغة

¹⁷¹ هذه المعلومات من تجربتي الحياتية التي عشتها مباشرة في تركستان الشرقية، أو قابلت الأساتذة التركستانيين الذين باسروا بالتدريس والتعليم. ولم يكن هناك مصادر ومراجع توثقها لغياب الواقع من كل الإمكانيات الدراسية،

¹⁷² الورداني، عز الدين، التعليم في تركستان الشرقية، تركستان تائمز. الرابط: [http://turkistantimes.com/m/news-](http://turkistantimes.com/m/news-3042.html)

الصينية، فارتفعت نسبة الجهل والأمية لطلاب المدارس الابتدائية والمتوسطة، وحتى تخرج بعضهم أمياً بعد تسعة سنين من الدراسة الإجبارية. إضافة إلى إبعاد المعلمين الأويغور والمحاضرين المؤثرين في المجتمع والرأي العام.

شدّد الرئيس الصيني شي جين بينغ السلطة منذ عام 2012 على جميع الأقسام الحكومية والمؤسسات التعليمية، لتكون دوائر التعليم نموذجاً في توحيد كافة الأيديولوجيات والعقائد تحت المبادئ الشيوعية، ودعا إلى تنحية المساجد وتأثيرها من حياة الشعوب، تحت رقابة قسم "مكافحة التطرف" و"الضرب القوي"، التي أبرزت شخصية القسوة الشيوعية باستخدام قوة غليظة مباشرة.¹⁷³

وفي ظل تكثيف تعليم المبادئ الشيوعية وأيديولوجياتها بدل العلوم اللازمة والتقنيات الحديثة في المناهج الدراسية، وتبديل اللغة الدراسية من اللغة الأم إلى اللغة الصينية، وتوظيف المعلمين الصينيين بدلاً من الشعب الأويغور؛ أدّت إلى سوء حالة تفشي الجهل والأمية، وإلى انخفاض معدل التعليم بين التركستانيّين؛¹⁷⁴ حيث تخلفه في الإقليم عن المعدل التعليم العام في الصين بشكل بارز، بنسبة الأمية بين التركستانيّين والتي تتباين تقديراتها بين 26% إلى 60%، وهي في زيادة مستمرة بسبب تدهور أوضاع التركستانيّين بصفة عامة.¹⁷⁵

فعند مقارنة التعليم بين أبناء الشعب التركستاني والصيني؛ فكانت النتيجة في عام 1992 سبعة طلبة من كل عشرة آلاف من سكان الإقليم في مقابل 1500 طالبا من كل عشرة آلاف من السكان الصيني، وكانت محصلة هذه السياسة تراجع تركستان الشرقية إلى ذيل دول آسي الوسطى وإلى المرتبة الأخيرة، بعد أن كان مستوى الشعب في التعليم في المرتبة الثانية عام 1952.¹⁷⁶

¹⁷³ حملة بدأت بها من عام 2013، تستهدف إنهاء المظاهر الإسلامية والأيديولوجيات الدينية. ينظر إلى فقرة "استغلال الصين من المعتقلين والسجناء في معسكرات الاعتقال للتأهيل السياسي".

¹⁷⁴ رغم تباعد اللهجات الصينية بين الشعب الهان وعدم التفاهم بها فرضت اللهجة الماندارينية على الأقوام الأقليات المختلفة، وفرضتها على الواقع الأويغوري قسراً، وطلب التحدث بها في المدارس، والبنوك المصرفية وسائر الدوائر الحكومية في الصين، كما يتم إجبار التحدث بتلك اللهجة في جميع الدوائر الرسمية في الدولة.

¹⁷⁵ الورداني، عز الدين، "التعليم في تركستان الشرقية"، موقع تركستان تايمز. <http://turkistantimes.com/m/news-3042.html>

¹⁷⁶ طاش، عبد القادر، تركستان المنسية وأهلها منسيون، ص 70. ط الأولى، دار الفتح الإعلامي، القاهرة.

3: سياسة التعليم في تركستان الشرقية للسلطات الصينية

المطلب الثالث

تكميش المذهب الحنفي والعلماء في الحياة الاجتماعية

لا شك في أن مكانة الأئمة في المجتمع من أهم الأدوار التي تلعبها في انسجام الحياة والمعيشة؛ من تعليم الناس الدين والعبادة، وتوعية المجتمع. وممارسة العلماء والمثقفين بنشر الوعي الإسلامي والإصلاح، وقيامهم بمهماتهم الاجتماعية من واجبهم الديني والإنساني.

من المعروف أن شعب تركستان الشرقية بعد فقدته حكومته الإسلامية، برزت دور علماء الشريعة في ساحة تنوير الشعوب المسلمة ومواجهة الجهل والأمية ومكافحة الفساد الاجتماعي. وفي ظل سياسات المنع والحظر على التعليم الديني للعلماء وغياب الجو التعليمي لهؤلاء، اختلعت مبادئ وأصول المذهب الحنفي في وعي الشعب التركستاني. كانوا يساهمون في تطوير الأدب والشعر واللغات والتوعية للشعوب، بمدارسهم أو مواضعهم لهم فيما تمكنوا، وقيامهم بدورهم في ترسيخ العلوم الأخرى مثل الرياضيات والتاريخ والجغرافيا وغيرها، واقفين مع المثقفين جنباً إلى جنب في إحياء الأدب واللغة، وإحياء التاريخ والثقافة إلى أن تعرض الشعب لاستعمار الصين الشيوعية.

وبعد احتلال الصين الشيوعية حاولت تمزيق المجتمع بالتفريق بين الركن النخبوي الذي يقود المجتمع التركستاني، فكرياً ومعنوياً؛ فحاول إلى نشر شذور الفتنة والتباغض بين أصحاب المعرفة، ولإضعاف تأثيرهم لدى الشعوب المسلمة.

ومن ناحية أخرى، خصصت السلطات الصينية بعض المثقفين المطبوعين في الدوائر الحكومية وأنظمة التعليم الحكومية لتشويه شأن المذهب الحنفي والعلماء الشريعة عبر استخدام الوسائل الإعلامية علناً، كأهم رمز للمتخلفين والخرافات.

بالإضافة إلى منع اللغات الأهلية والكتب الدراسية في المدارس والجامعات مع سياستها، في مقابل رواتب رمزية ضئيلة، أو بتهديد بالغ على حياتهم وأسرهم. وكما عاملت مع بقيتهم بمعاملة الخونة للوطن وكمسممي الشعب ومنبع للتخلف.

ومن الجدير تأكيده أن تحركات السلطات الشيوعية تجاه أفكار الشعوب واحتكارها في الفكرة اللادينية (الإلحادية) ومبادئها الشيوعية، بالتدخل الشامل في جميع الأنشطة الدينية، وحرها الأيديولوجية عليها، عبر استخدامها بما تملكه من كل وسائل القوى القاسية والإعلامية وتشويهها بالهجاء وتحقيرها. كما أكدنا أن سعي السلطات الصينية إلى صياغة الإسلام بالصيغة الصينية، وإعادة تفسير القرآن الكريم والكتب الدينية وفقاً للأيديولوجيات الشيوعية، وبما يروج النظام الاشتراكي الشيوعي، ويقدمه؛ هذه من الظواهر السياسية الجديدة كانت تخفيها منذ سبعة عقود من الاحتلال، وأظهرتها متغطرة حينما تقوّت في السنوات الأخيرة.

وتبرز هذه التضييقات السياسية على العلماء وأصحاب المعرفة بالطريقتين الرئيسيتين التاليتين:

1: سياسة إذلال علماء الشرعية:

2: كبت المثقفين وواقعهم الحالي:

اعتباراً من أبريل/ نيسان 2017 اتهم الحزب الشيوعي شعب تركستان الشرقية بدون استثناء بتهمة التطرف الديني والانفصالي، واحتجزت النخب المتميزة بالعلم والفكر في "معسكرات إعادة التعليم السياسية" في جميع أنحاء الإقليم، رغم أنهم عملوا لصالح الحكومة في استيعاب الشعوب بسياسات الحكومة، وهم من أعضاء الحزب الشيوعي، دون تقديم أية معلومات عنهم، وكما أنهم معروفون بالتطبيع والعمل مع الحكومة منذ الاحتلال إلى الوقت الراهن، لأنهم كانوا ينخرطون معها.¹⁷⁹

ومع صعوبة الحصول على المعلومات الموثوقة في إحصاء عدد المعتقلين المثقفين في تلك المعسكرات السياسية؛ يشير الإحصاء غير الرسمي إلى أن عددهم يبلغ ثلاثة ملايين، على رأسهم العلماء والمثقفون والفنانون وأصحاب الثروات والمشروعات التجارية. على سبيل المثال: "تم سجن ما لا يقل عن 56 أستاذاً ومحاضراً وباحثاً من الأويغور من جامعة شينغيانغ (جامعة تركستان الشرقية)، محتجزون في "معسكرات إعادة التعليم".¹⁸⁰

¹⁷⁹ الأويغوري، ص 180-185.

¹⁸⁰ إذاعة آسيا الحرة، الرابط: <https://www.rfa.org/english/news/uyghur/professors-09182018151339.html>

وفي إطار هذا التمييز العشوائي على هوياتهم وشخصياتهم جاءت التُّهم عليهم بالتطرف والتجنيد للعنف. كما قال الباحث أدريان زينز:¹⁸¹ "إن حوالي مليون ومائة ألف شخص معتقلون أو محتجزون في معسكرات إعادة التعليم، وهو ما يعادل 10 إلى 11 في المائة من السكان المسلمين البالغين في المنطقة".¹⁸²

كما يلاحظ التحقّظ التام على المثقفين الأويغور تحت رقابة صارمة في تركستان الشرقية (شينجيانغ)، ويمكن أن يواجهوا عقوبة قاسية لعدم إلّزامهم بسرد بكن حول كيفية إستفادة سياسات الحكومة المركزية الصينية من الإقليم والأقليات المسلمة والعرقية فيه.

المبحث الثالث

أهمية المذهب الحنفي ودوره في حفظ الهوية الإسلامية

يتناول هذا المبحث المضامين الآتية:

¹⁸¹ Adrian Zenz, "Wash Brains, Cleanse Hearts": Evidence from Chinese Government Documents about the Nature and Extent of Xinjiang's Extrajudicial Internment Campaign, November 24, 2019

¹⁸² وهو محاضر في أساليب البحث الاجتماعي في المدرسة الأوروبية للثقافة واللاهوت ومقرها في ألمانيا. وينظر المصير السابق.

المطلب الأول

مزايا المذهب الحنفي بين الشعب التركستاني

نؤمن أن المذهب الحنفي هو الرابط الوحيد الذي بقي ولا يزال يبقى في عمق المجتمع التركستاني، لأنه يربطه بالعالم التركي كإخوة عرقية والدول المجاورة كباكستان والهند كأخوة إسلامية.

ويمكنني أن أقول: إن المذهب الحنفي جوهر كامن في صمود الشعب التركستاني ومسلمي الأويغور أمام تلك الحملات المتواصلة نحو استيعاب هويتهم. فلذلك، كان علماء تركستان الشرقية ينتهجون على طريقتهم الخاصة، سواء في التدريس العلني في المدارس والخانقات قبل الاحتلال، ودروسهم السرية بعده، وتمسكهم بالمذهب الحنفي كخصوصية الإسلام، وجهودهم في تكريس مكانة المذهب في قلوب الشعوب المسلمة. فإليكُم مزايا المذهب الحنفي في المجتمع التركستاني:

الميزة الأولى: أهم رابطة جامعة بين الشعوب التركستانية بعد الإسلام: وأنه بالنسبة لمسلمي تركستان طريقة العلم بالشريعة، والممزوج بالعقيدة الماتريدية الأشعرية، التقليد الفقهي (المذهب الحنفي). حصن أصيل في مجابهة الزيغ والضلال، فضلا عن الأيديولوجيات الشيوعية الاشتراكية، المذهب الجامعي والجماعي لهم، المتمسك بأصول الإسلام.

الميزة الثانية: معتدل المعتقد والتعبد لدى الأناس السذج: إن العلماء الأحناف لا ينكرون التصوف أو طرق الصوفية ومناهج التربية لدى الزهاد العباد والمصلحين الموثوق بهم، وهم فعلا يأخذون بهذه الطرق وهذه المناهج؛ وإنما ينكرون تقاليد أولئك المغالين الجهلاء الذين يمارسون مجرد المحاكاة ويقومون بعروض وتظاهرات. وأما يستنكروهم الآخرون بالتقاليد البدعية الشريكية، التي يمارسها المبتدعون، كما يقول في مناسبات الزواج والمآتم والاحتفال بالموالد والوفيات للمشايخ والزهاد، وتقديم النذور والقرايين للقبور والأضرحة وتشديد البناء عليها وإنارة المباني عليها والسجود لديها والمطاف بها وطلب الحوائج من أصحابها؛ كل ذلك قلة نادرة لا تمثل جميع التركستانيين.

هناك عدة اتجاهات بين المتصوفين التركستانيين:

أولها: الاتجاه القريب من السلفية من حيث تركيزه على محاربة البدع وبعض ممارسات المتصوفة مثل طقوس زيارة القبور ولكنهم لا يأخذون بكل المعتقدات السلفية في الأسماء والصفات وتعريف الإيمان ويمثل هذا الاتجاه معظم العلماء البارزين بالإصلاح.

والثاني: الاتجاه التعليمي الذي وقف نفسه للتعليم وتطوير المدارس السرية والتدريس فيها في أنحاء تركستان الشرقية، غير مبال بالجدل ولا متداخل بما يجري في المجتمع.

الميزة الثالثة: سلاسة الاستنباط في المستجدات والنوازل: كما أطلعنا في المباحث السابقة شهد المجتمع التركستاني عبر التاريخ على كثير من الامتحانات القاسية بإسلامهم، بدءاً من العهد المغولي ثم الخجوات المتصوفة المتطرفة؛ وحدثت النوازل التي يقع على كواهل العلماء التركستانيين الإفتاء وبيان أحكامها الشرعية والحلول بطريقة حكيمة، دون مضايقة لمسلم متدين ولا معارضة على النصوص الشرعية. وهذا ربما يعد من أقوى عامل في تمسك الشعب بالمذهب الحنفي.

الميزة الرابعة: الانفتاح للجدل والمناظرة مع الأيديولوجيات المضادة: فإنه بمساحته للعقل المسلم وانفتاحه على الأفكار والثقافات ومرونته في تطبيق النصوص الشرعية، حافظ على الإسلام وإسلامية الشعوب التركية من الحروب الفكرية التي تأتي من الصين وروسيا من أكثر من قرن؛ كما نحن نرى مجتمعات تتقلب من الإسلام إلى النصرانية أو الشيوعية واللا دينية، أو تنشأ المليشيات باسم الإسلام في العالم العربي، وهذا بالنسبة إلى غير الأحناف.

المطلب الثاني

ضرورة تفعيل دور المذهب الحنفي في المجتمع التركستاني

لرفع مستوى الشعب التركستاني في فهم الدين الحنيف، نحتاج إحياء وتفعيل بعض المحركات الأساسية في التعليم؛ فكون المذهب الحنفي أساس التعليم والتدريس وكون علم أصول الفقه مجموعة من

القواعد التي تُنظم عملية استنباط الأحكام الفقهية، ثم أصبح موضوع دور المذهب الحنفي مرجعاً من الفقه الحنفي وعلم الأصول، وتطوّر الوعي بالمذهب عبر مراحل متتابعة، عبّرت عن اجتهادات العلماء في التعامل مع المشكلات المتجددة عبر العصور.

ولا شك في أنّ الاهتمام بإحياء دور المذهب الحنفي قد أصبح حاجة ملحة في الآونة الأخيرة، إلى جانب علم مقاصد الشريعة. وقد وصف الريسوني هذا الاهتمام بأنه «صحوة مقاصدية» جاءت بعض تجلياتها في تعليم موضوعات علم المقاصد بصفته مادةً تعليميةً في مراحل التعليم الجامعي، أو في صورة موضوعات مقاصدية في دروس مادة التربية الإسلامية في التعليم العام.¹⁸³ وذلك يتم في الجوانب الآتية:

1. كشف كوامن المذهب الحنفي في اهتمامه بمقاصد الشريعة عبر التاريخ، لأن المذهب منذ بزوغه حتى الآن اشتهر بالرأي، وهذا يعني مدى عمقه في الاهتمام بها. وفي حين لم يكن الاهتمام بالمقاصد وكافياً لتلبية الدعوة إلى ما سمّاه النجار «نخضة مقاصدية» في الفقه الإسلامي، تكون وظيفتها تفعيل مقاصد الشريعة، «بإعادة تحريرها وتقريرها وتصنيفها.
2. بالتحقيق في المذهب الحنفي من حيث ذاته لئلا يبنى كلُّ حكم على المقصد المناسب له، وبالتحقيق في مآلاته، لئلا يبنى الأحكام على المقاصد التي تتحقّق في الواقع، وتعالج المشاكل الواقعية. ويقع اليوم ضررٌ كبيرٌ بالأمة نتيجة الغفلة عن هذا التفعيل للمقاصد في مراحلها المختلفة.¹⁸⁴

3. تقريب المذهب الحنفي إلى الواقع أكثر في التطبيق، وقد عرفنا أنّ مقاصد الشريعة تشمل كلّ ما يحفظ على الإنسان نفسه وعقله وماله وعرضه، والإنسان هنا فرداً ومجتمعاً وأمةً، كما يشمل نظم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، وتتسع مقاصد الشريعة لتشمل

¹⁸³ أحمد الريسوني. الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده، 1999م، ص7.

¹⁸⁴ عبد المجيد النجار. مراجعات في الفكر الإسلامي، 2008م، ص137-138.

حفظ نظام العالم بمكوناته البشرية والطبيعية. لذلك فإنَّ تفعيل مقاصد الشريعة يتجه إلى كلّ هذه المجالات. ونحن نختار في هذا المقام أن يتوجّه الحديث إلى تفعيل مقاصد الشريعة في مجال محدّد هو التربية والتعليم.

إنَّ معظم نُظُم التعليم العام والمدارس والأساتذة في تركستان الشرقية، كذلك التركستانيون في المهجر يعانون من مشكلات عميقة، حتى بدا وكأنَّ حلول هذه المشكلات لن تأتي من داخل هذه النظم وتقاليدها ونظرياتها، وتتطلع إلى أية نماذج أو تجارب أو أفكار تُسهم في حلِّ هذه المشكلات. ولو أمكن تفعيل المقاصد في صياغة نظام تربوي إسلامي لأصبح هذا النظام في موقف اليد العليا التي تعطي خبرتها وحلولها، وليسهم منْ ثمَّ في إثبات ادعاءاتنا بعالمية الإسلام، وخاصيته العمرانية الاستخلافية، وبأنَّه رحمة للعالمين.

وقد تأتي أهمية الحديث عن تفعيل دور المذهب الحنفي المقاصد التربوية، من ملاحظتنا للقصور في المفهوم الشائع للتفعيل في بعض الكتابات المعاصرة. ذلك أنَّ الوعي بحداثة الاهتمام بموضوع دوره وعلم المقاصد ولفت الانتباه إليه بوصفه من قضايا التجديد في دراسة العلوم الدينية، رافقته دعوة إلى تعليم هذا الموضوع وتقديمه في عدد من المستويات في مراحل التعليم العام والجامعي.

فهذا النوع من التفعيل لا يتجاوز كونه تقديم مادة دراسية جديدة، تضاف إلى المواد الأخرى. ونحن هنا لا نقلل من أهمية هذا المفهوم وضرورة تأكيده في المناهج التعليمية، لكنَّه في نهاية المطاف هو تعليمٌ للمقاصد بوصفه موضوعاً للدراسة، لكنه لا يتضمن بالضرورة تفعيلاً للمقاصد في تعليم المواد الدراسية أو توظيف علومها.

وقد يصل مفهوم التفعيل إلى مستوى أكثر تقدماً عند الدعوة إلى الانتقال من تعليم الموضوعات المختلفة في العلوم الدينية، ولا سيما الأحكام الفقهية في مجال العبادات والمعاملات وطرق استنباطها أو الاستدلال لها بالطريقة التقريرية، إلى تعليم هذه الأحكام الفقهية مع بيان مقاصدها وما يحتفُّ بها

من حَكَمٍ وَعِلَلٍ وأسبابٍ. ومن المؤكّد كذلك أنّ هذا المفهوم الثاني له وجاهته وضرورته، فهو يتعامل مع المقاصد بوصفه منهجاً في التعليم.

لكننا نحتاج أن نتقدم خطوةً أخرى في مفهوم تفعيل المقاصد التربوية والتعليمية، بالنظر إلى المقاصد أو الغايات، أو الأهداف التربوية ذات الصلة المباشرة بشخصية الإنسان الذي نستهدفه في العمل التربوي، والتعامل مع مقاصد العلوم التي يلزم أن يكتسبها هذا الإنسان، وبناء الصورة التي يتجلّى فيها سلوكُ هذا الإنسان في الواقع العملي والحياة الاجتماعية، وتشكيل الحالة الحضارية للمجتمع الذي نمارس من أجله تفعيل المقاصد التربوية.

ونحن نرى أنّ المقاصد التربوية التي نتحدث عنها هي المقاصد القرآنية التي تتصل اتصالاً مباشراً بالقضايا التربوية التي نبتغي لها حُكماً، والحُكم هنا لا يقتصر على تقديم الفتوى بما يجوز وما لا يجوز أن نفعله في مسألة تربوية، وإنّما هو إقامة الصلة بين المقاصد القرآنية والحالة التربوية في مجتمعاتنا الإسلامية؛ في جميع أركان هذه الحالة التربوية، وما تستند إليه من فلسفة ونُظم وبرامج ومناهج، وما تتّصف به حالة المعنيين بالتربية في مستوياتهم الإدارية المختلفة، وما ينعكس به كلّ ذلك على حالة الإنسان التي تُخرّجه مؤسسات التربية. وبذلك يبدأ تفعيل المقاصد التربوية ببناء الرؤية التربوية الإصلاحية، التي تفعل مهمة التربية في الإصلاح والتغيير والنهوض الحضاري للمجتمع. ومن يستطيع بناء هذه الرؤية غير الفقيه المقاصدي التربوي.

والمعنيون بالتربية والتعليم ليسوا هم فئة العاملين في المدارس والجامعات وغيرها من المؤسسات التعليمية والتربوية وحسب، فكلّ أفراد المجتمع معنيون، وكل فرد هو معلم أو متعلم، بصورة من الصور، وكل فرد هو ابن أو أب أو أم. وتفعيل المقاصد في هذه المستويات يعني فيما يعنيه أن تكون عناية كل فرد بالتعليم والتربية عناية جادة تتصف بالإيجابية والشعور بالمسؤولية، ويؤدي هذه المسؤولية بأمانة ورغبة واستمتاع، تحفره في ذلك حوافز داخلية بنّية خالصة يقصد فيها أداء واجب مقدس، في النهوض بمجتمعه وأمته، كما يقصد رضا الله ونعيم الآخرة.

ونحن حين نؤكد أهمية المشاعر والقناعات الفردية في المسؤولية عن تفعيل دور المذهب الحنفي وعم المقاصد في التعليم، لا ننسى واجب المجتمع في توفير البيئة التعليمية والتربوية التي تؤمن بأن التعليم رسالة مقدسة، وأنّ المربين هم أحقّ الناس في المجتمع بالتكريم المادي والمعنوي. ومن المتوقع أن يتجلّى تفعيل مقاصد الشريعة في التعليم في المجتمع في تحقيق المصالح والفوائد والعوائد المنشودة في رتبها الضرورية والحاجية والتحسينية، وبذلك يظهر الأثر التربوي المباشر على الفرد والأسرة والمجتمع.

المطلب الثالث

اقتراحات في إحياء دور المذهب الحنفي

قد عاصرنا زمانا يروج البعض فكرة اللامذهبية، التي ضرت في مقتنيات الثقافات الإسلامية في المجتمعات الإسلامية، وتسببت في ابتعاد الشباب المسلمين عن الدين أو نشأة المتطرفين باسم الدين. والآن اقتنع الجميع بأن المذهبية عامل مهم في استقرار الدول الإسلامية وطمأنينة الشعوب، وكذلك ضمانة مهمة لحسم الفوضى الدينية التي ساهمت في تأجيحها الدعوة إلى اللامذهبية المثيرة للكثير من البلبلة والتشويش على مناحي الحياة والإنسان المسلم بشكل خاص، وذلك بضرب عنصر أساسي وهو الاجتهاد المبني على قواعد فقهية.

وتلك الفكرة أنتجت فوضى في التعاطي مع نصوص الشرع، وتبعثها فوضى أكبر في مستوى التنزيل والإفتاء. فلذلك ولعدة من الضروريات نرى من المهم أن نحافظ على مثل هذه الروابط الإسلامية، كالمذاهب الأربعة، والحنفية بالخصوص؛ لأن من أكبر الوسائل التي حققت الوحدة والتواصل والانسجام بين شعوب تركستان وآسيا الوسطى وباكستان والهند وغيرهم.

وإذا خصصنا من بين المذاهب الأربعة السنية الأساسية نجد المذهب الحنفي الذي يعتبر مذهباً وسطياً تبرز وسطيته في أصل العرف الذي يراعي أحوال الناس وعاداتهم وتقاليدهم، الاعتدال والتطور

والتجديد؛ الواقعية، وتعني الاهتمام بما هو واقع وجرى عليه الناس في حياتهم. وأما المرونة، فتتجلى بوضوح في قاعدة مراعاة الخلاف التي ترجع أهميتها أساساً إلى محاولة التقريب بين المذاهب.

ولكنه، كانت المدارس التركستانية تلتزم في مناهج التدريس بمتون وشروح أغلبها يعود تاريخ تأليفها إلى ما بين القرن الرابع والثامن الهجري، على أنها الكتب المعتمدة في المذهب، كالقدوري للإمام القدوري والهداية للإمام المرغيناني والتوضيح للإمام التفتازاني؛ إذ هذه المتون والشروح صعبة المنال ومعقدة المفاهيم والألفاظ وحتى الكثير من الأمثلة على الاستدلال كان من واقع عاصره مؤلف تلك الكتب التراثية. فلذلك يحتاج العلماء إلى مراجعة عدة أمور:

1. تبسيط تلك الكتب المعتمدة بالتقنية الحديثة، يتم ذلك بالتشجير وتحديث الأمثلة من الواقع المعاصر، خاصة من واقع تركستان الشرقية، والتي تشهد النوازل والمستجدات أكثر بالنسبة إلى غيره من العالم الإسلامي. أما كون المجتمع التركستاني مغلقاً عن الأنترنت شيء آخر سيوجد حله.

2. تدريب أشخاص متخصصين في المذهب الحنفي على يد العلماء المتقنين فيه، في العلماء التركستانيون يكادون يفقدون مستواهم فيه بسبب التضييقات وعدم تربية جيل يرث هذا التراث القيم ويحفظه للجيل القادم. وهناك كثير من العلماء الأحناف في العالم الإسلامي والعربي معروفون بإتقان هذا العلم الحنفي.

3. تجديد الرؤى والنظر في المقررات التدريسية في المذهب الحنفي، متركزاً في التطبيق والاعتناء بأصول الفقه، وليس بالاعتماد على المسائل الجزئية الماضية التي عابرت قبل قرون عدة.

4. المحاولة في نشر مميزات المذهب الحنفي وخصائصه بين المتدينين، ومن أبرز تلك الخصائص:

أ. شورية المذهب، بمعنى أنه يلتزم الشورى في الحياة الاجتماعية للمسلمين

ب. امتزاج النصوص الشرعية بالرأي والاجتهاد وتفعيل العقل السليم

ت. استقلاليته بمنهج خاص في أصول الفقه.

ث. اعتداده بالفقه الافتراضي بمحاولة التعرف على حكم الشيء أو الواقعة قبل الوقوع، للعمل بهذا الحكم عند اللزوم.

5. التزام المذهب الحنفي بالعقيدة الماتريدية ومنزجه ونضجه أكثر على قدر حاجة الواقع اليوم، وقد يحمل معظم أتباع المذهب اعتقاد "الماتريدية" من أهل السنة والجماعة، أتباع الامام أبي منصور محمد بن محمد السمرقندي الماتريدي الحنفي، والذي بدوره شرح كتب الامام أبي حنيفة العقائدية الخمسة.

6. عدم إخراج الطلبة والدارسين والمتدربين بالمذهب الحنفي، لأنه لين المذهب وعدم تشدده ساعد على انتشاره وارتباطه بالحكام والسلطة ومرونته في المسائل الفقهية وكثرة تشعبها بسبب مسأله الافتراضية وبسبب تغلغله في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من مناحي الحياة.

7. الإقناع الكافي وقوة البرهان على المنحرفين ومدعي الفكرة اللامذهبية من الشباب التركستاني وغيرهم، حيث يأخذ المذهب الحنفي بالكتاب الكريم كسائر الأئمة، ويأخذ بالسنة وان كان له مسلك خاص نحوها فهو يتشدد قبول الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يقبله إلا إذا رواه جماعة عن جماعة أو كان خبراً اتفق فقهاء الأمصار على العمل به أو روى واحد من الصحابة الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في جمع منهم فلم يخالفه أحد.

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج التي وصلت الدراسة إليها:

من خلال سرد التعريف لمصطلحات البحث والتأريخ لأسلمة الشعب التركستاني والأويغور والمذهب الحنفي في تركستان الشرقية في الفصل الأول، وبيان الأدوار المذهب الحنفي في حفظ هوية

مسلمي تركستان الشرقية والتحديات التي تذبذب مكانة المذهب الحنفي، والإسلام عموماً في الفصل الثاني؛ يمكننا أن نستخلص النتائج التالية:

تناول الفصل الأول من الدراسة تعريف ومناقشة مفاهيم المصطلحات الأساسية للبحث، من تعريف الهوية الإسلامية وتعريف الأويغور وتركستان الشرقية والمذهب الحنفي. استنتجنا من خلاله:

1. مفهوم الهوية عند المسلم هو عقيدته ومذهبه، فيلحقها التاريخ واللغة الأم وبقية عناصرها السابقة. ثم تلك المقومات التي يعتز بها المسلم من ثقافة وجنسية أو وطن.
2. الأويغور هم من الأتراك، يعود أصولهم إلى القرن الثالث الميلادي، وتمت أسلمتهم في الفترات المختلفة. أغلبهم يعيشون في تركستان الشرقية. ولا علاقة لها بالموقع الجغرافي.
3. تركستان كلمة مركبة من ترك وستان، بمعنى موطن الأتراك. أما كلمة "شينجيانغ" باللغة الصينية بمعنى الوطن الجديد يرفضه الشعب التركستاني.
4. تمت أسلمتهم في مراحل مختلفة وبطرق متعددة، كإسلامية الأفراد في إسلامية الدولة في العهد القاراخاني ثم إسلامية الشمول بعد العهد المغولي.

كنتيجة لهذا الفصل، إن الهوية الإسلامية المذكورة فيه لشعب تركستان الشرقية (إقليم شينجيانغ الأويغور الحكم الذاتي حالياً) إسلامية ثابتة، منحوتة على صفوح ذلك الموطن المسلم، وهي التي نضجت عبر التاريخ المديد بالعقيدة الماتريدية والمذهب الحنفي. وكان موقعهم جزءاً أساسياً من الرقعة الإسلامية، وكذلك الموطن الأم للأتراك الأويغور من القديم.

وأما الفصل الثاني، فقد تناول واقع المذهب الحنفي وسياسات تتخذها الصين لإقتلاع تأثيره من أذهان الشعب التركستاني، كغسل أدمغة الشعب ومسح الروابط الدينية والعادات الإسلامية الشيعية، لطمس هويتهم وتذويب ديموغرافياهم الإسلامية في وطنهم المستعمر تركستان الشرقية. وإضافة إلى ذكر كفاحهم في حفظ هويتهم الإسلامية والتركية.

كما أبرز أهم الأدوار التي لعبها المذهب الحنفي، وخلاصة ذلك:

✚ لعب المذهب الحنفي دوره في حفظ عناصر هذه الهوية الإسلامية، من لغة ودين ومعالم تاريخية وحضارية وفنون ثقافية،

✚ لعب المذهب الحنفي دوره في بقاءه كمذهب من المذاهب العقدية والفقهية التي حافظت عليها الشعوب منذ قرون بعيدة،

✚ لعب المذهب الحنفي دوره ضد السياسات البشعة التي اتخذتها الصين الشيوعية لحو تلك الهوية الإسلامية والتركية،

✚ لعب المذهب الحنفي دوره تجاه سياسات دينية بنسخة صينية، كتهميش صورته وتجهيل الشعب وتفجير متعمد، بالقضاء على طبقة النخب من العلماء والمتقنين،

✚ لعب المذهب الحنفي دوره في مجابهة الحروب الفكرية والأيدولوجية المسمومة على الإسلام والمسلمين،

✚ لعب المذهب الحنفي في حفظ المجتمع التركستاني من الفوضى والاختلاط، ومن تطبيع المنحرفين في فهم وتطبيق المراجع الدينية والتاريخية.

ثانيا: التوصيات:

من الطبيعي أنه لن يستكمل مثل هذا الموضوع بدفعة واحدة، فأثناء إعداد هذا البحث وجدت مدى أهميته وضرورة التعمق فيه أكثر مما افترضته قبل شروعي بالبداية؛ حيث أعبني التزام منهجية واحدة في البحث، لكون الموضوع متشعبا نوعا ما، فحاولت إعطاء الموضوع حقه بقدر الإمكانيات التي أتيت لي؛ ففي هذا المقام أوصي أولا بنفسني ثم من يطالع في الموضوع أن يساهم ويركز في:

1. أهمية تصحيح المفاهيم حول المسميات للشعوب المسلمة وأسماء بلدانهم باسمها الحقيقي، كتركستان الشرقية التي تمنع الصين استعماله في الواقع الحالي. كذلك التدقيق في المصطلحات السياسية الصاعدة في يومنا هذا، كالأقليات المسلمة والجنسية.
2. أسهب علماء التراجم والمؤلفين في الطبقات الأحناف بذكر علماء تركستان الشرقية بنسبتهم إلى مدينة أو قرية، كـ "الكاشغري" و "الختني" أو "الخوتني" و "السايرامي" و "اليسوي" وغيرها. ومع ذلك كثير من العلماء المعاصرين يهملون في تأكيد أن تركستان بلد إسلامي.
3. الروابط الإسلامية كعقيدة أو مذهب فقهي لها أهمية عظمى في بقاء المجتمع الإسلامي إسلاميا؛ خصوصا عند سادت التهميشات السياسية للقيم الدينية فيه كيومنا هذا. هنا يبرز أهمية مثل هذه الدراسة للحفاظ على تلك القيم المستهدفة من قبل أعداء الإسلام.

4. المذهب الحنفي له ميزات كثيرة وكبيرة، وأنا وقفت على ما استطعت من الوقوف والإدراك؛ فأوصي للباحثين أن يتعمقوا في البحث عنه، وليحاولوا إحياء تلك الميزات لمجتمعاتنا الإسلامية، دون إيقاظ التعصب المذهبي وإغراء الناس إلى التفرقة والتباغض، كما حدث سابقاً.
5. أرى أن تقريب مناهج الدراسات التاريخية مثل هذا قدر الإمكان إلى مناهج الدراسات الاجتماعية من ضروريات البحث اليوم للدارسين والباحثين. وهذا قناعتي.
6. قد نجد الكثير من الدراسة تدرس مذهباً أو فرقة كأنه تاريخ سجلته الكتب، ويكتفي بإثبات شيء ما ينسبه بزمه، ويفوته ما هو الذي سينفع حاضراً ومستقبلاً؛ فأرى أن يركز في فائدة أو إسهامات تلك الدراسة لواقعنا المعاصر ولمستقبلنا المنتظر، ولينفعنا والجيل القادم.

بهذه العجالة انتهت الدراسة بهذا الشكل. إن وفقت فمن الله وأخطأت فمن الشيطان ومن نفسي. أسأل الله العلي العظيم أن يوفقني في هذا العمل، وينفعنا به والأمة، وخاصة مسلمي الأويغور المضطهدين في تركستان الشرقية. ويعينني على إكمال المسيرة العلمية في المرحلة القادمة.

قائمة المصادر والمراجع

وهي تحتوي التقسيمات الآتية:

أولاً: المصادر العربية: وهي:

1. المصادر الأساسية:

القرآن الكريم

أبو الحسن، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، دار الكتب العلمية - بيروت _

لبنان.

البخاري أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه. ت: محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم. موقع موبى، الهند. نسخة إلكترونية من موسوعة الشاملة.

الترمذي السلمي البوغي أبو عيسى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى: الجامع الترمذي: سنن الترمذي، تحقيق محمود شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي. المكتبة الوقفية. الناشر: مصطفى البابي الحلبي. سنة النشر: 1397 - 1977.

الشيبياني الذهلي، أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: حمزة أحمد الزين. دار الحديث، القاهرة، مصر. مؤسسة الرسالة، 1969. دار المنهاج.

2. الكتب المطبوعة:

1423هـ - 2002م.

ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري، الكامل في التاريخ: تاريخ ابن الأثير، تحقيق: أبو الفداء عبد الله القاضي. دار الكتب العلمية. 1407 - 1987. بيت الأفكار الدولية، 2022.

أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ)، المسالك والممالك، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة الطبعة: عدد الأجزاء: 1 (ترقيم الكتاب موافق للمطبوع).

الدينوري، أبو الحسن. مناقب الإمام أبي حنيفة، تحقيق شعبان كوتوك. مجلة تحقيق مخطوطات العلوم الإسلامية والنشر، ج1، العدد 2/3، ديسمبر 2020.

الحسيني الحموي الحنفي، أبو العباس شهاب الدين: غمز عيون البصائر، (المتوفى: 1098هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1405هـ - 1985م.

الأصبهاني المرواني القرشي، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت 356هـ)، مقاتل الطالبين، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط1، دار المعرفة، بيروت.

أبو زهرة محمد. أبو حنيفة؛ حياته وعصره - آراؤه وفقهه، ط الثانية. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر. 1948م.

- الذهبي، أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت 748 هـ)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ت: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، ط2، (1413 هـ - 1993 م).
- أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد ابن حماد (المتوفى: بعد 310 هـ)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة. دار السويدي، أبو ظبي الطبعة: الأولى، 2003.
- النقيب، أحمد بن محمد نصر الدين: المذهب الحنفي؛ مراحل وطبقاته، ضوابطه ومصطلحاته، خصائصه ومؤلفاته. مكتبة الرشد، الرياض.
- حوى، أحمد سعيد، المدخل إلى مذهب الإمام أبي حنيفة، ط1، دار الأندلي الخضراء. السعودية.
- الشافعي، الحسن: المدخل إلى دراسة علم الكلام، ط4، مكتبة وهبة، القاهرة، 2013.
- الزركلي الدمشقي: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦ هـ): الأعلام، الناشر: دار العلم للملايين، ط15، 2002.
- الطائي: سعاد هادي: الأويغور، دراسة في أصولهم التاريخية وأحوالهم العامة. دار ومكتبة عدنان، ط2. بغداد. 2016.
- الصنهاجي القرافي: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي العلاء إدريس بن عبد الرحمان بن عبد الله بن يلين: الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. مكتب المخطوطات الإسلامية. حلب. 2009.
- عبد القادر طاش، تركستان المنسية وأهلها منسيون، ط الأولى، دار الفتح الإعلامي، القاهرة.
- السمعاني التميمي، عبد الكريم بن محمد: الأنساب، تحقيق: محمد عوامة. مكتبة ابن تيمية. القاهرة. دون سنة النشر.
- علي البار، محمد، نظرة موجزة لإسهام تركستان الشرقية في التاريخ الإسلامي، مخطوط بدون تاريخ ومطبعة.
- آلبتكن، عيسى يوسف: قضية تركستان الشرقية، دار تكلماكان الأويغورية. 1981.
- كامل محمد عويضة، علم النفس، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1996.

الطبري، أبو الفضل، محمد بن جرير أبو جعفر: تاريخ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، بيت الأفكار الدولية. دار أبو صهيب الكرمي. 2009.

بوغرى، محمد أمين: تاريخ تركستان الشرقية. دار تكليماكان الأويغورية. إسطنبول.

3. الأبحاث والدراسات (رسائل الدكتوراه والماجستير):

أبو خليف محمد، محمد جماعة "الهوية المتعددة الأبعاد"، موقع المشهد التونسي 2020.
الريسوني أحمد: الفكر المقاصدي: قواعده وفوائده، 1999م.

طاشاغل، أحمد، حرب طالاس، موسوعة الإسلام لوقف الشؤون الديانة التركية DIA، 2010. إسطنبول.

الطائي، سعاد حسن، الحركة الفكرية في العهد القاراخاني، بحث محكم وضعته الباحثة في صفحته دون إشارة إلى جهة النشر.

الحنبلي، محمد إبراهيم أحمد علي؛ علي بن محمد بن عبد العزيز: المذهب عند الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، تحقيق محمد حامد النصر، مجلة الوعي الإسلامي الكويتي، الإصدار الخامس والأربعون. 2017م / 1438هـ.

محمد إبراهيم أحمد علي، المذهب عند الحنفية، ط2. مجلة الوعي الإسلامي، الكويت. ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م.

الجمال، محمد أيمن، الإمام أبو حنيفة وفقه الثورة، المجلس الإسلامي السوري، 2020.

لأويغوري، محمد أمين نورمحمد، العوامل السياسية في تشكل المذهب الحنفي وتكوينها في القرن الثاني الهجري، كتاب "دور القرن الثاني الهجري في تكوين العلوم الإسلامية"، ج4، ط1. دار Iksad، 2022.

الأويغوري، محمد أمين نورمحمد، المشاركة السياسية للأقليات المسلمة في ضوء السياسة الشرعية؛ دراسة حالة الأويغور. رسالة الماجستير، جامعة طرابلس - لبنان. 2021. مجهز للطبع.
درويش، هدى، دور التصوف الإسلامي في انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والقوقاز، ط1. معهد الدراسات الآسيوية، جامعة الزقازيق. مصر، 2004.

4. المعاجم والقواميس اللغات:

ابن المنظور محمد بن مكرم، **لسان العرب**، دار المعارف، 2007.
ابن ناظم، محمد بن محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي، ابي عبد الله بدر الدين، **شرح لامية الأفعال**. مخطوط.
أبو الحسن، أحمد ابن فارس زكريا: **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق: عبد السلام هارون. 1399 – 1979.

الجوهري أبو نصر، إسماعيل بن حماد: **الصحاح**. دار الحديث. القاهرة. 2011.
عبد الغني، **معجم المعاني**، "معنى الهوية"، المعجم الإلكتروني بالعربي.
الفيروز آبادي محمد بن يعقوب مجد الدين. **القاموس المحيط**، دار الحديث، القاهرة. 2013.
الفيومي الحموي أبو العباس، أحمد بن محمد بن علي الفيومي: (المتوفى: نحو 770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**. المكتبة العلمية – بيروت.
المنوي، الحدادي ثم المناوي القاهري، عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين (المتوفى: 1031هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، الناشر: عالم الكتب 38 عبد الخالق ثروت- القاهرة الطبعة: ط: الأولى، 1410هـ-1990م.

5. الموسوعات والأرشيف:

موسوعة الإسلام لوقف الشؤون الدينية، DIA، **الكاشر** (Kaşgar)، وقف الشؤون الدينية التركية، ج9، 2002.

الموسوعة الشامة الإلكترونية: <http://islamport.com/ms.gif>

أرشيف منتدى الآلوكة: <http://islamport.com/k/mjl/6408/26982.htm>

6. مواقع الويب المعتمدة:

<http://arabic.people.com.cn/100639/100640/7127840.html>

<http://turkistantimes.com/m/news-3042.html>

إذاعة آسيا الحرة، الرابط:

أركن أكرم، "الصين الشيوعية تحاول استيعاب مسلمي تركستان الشرقية". موقع ILKHA (ilke haber ajansi).

جريدة الشعب الصينية، "المسلمون في شينجيانغ: تاريخهم وعقيدتهم وحياتهم"، 3 سبتمبر 2010. تاريخ الزيارة: 6 فبراير 2020

شبكة الآونة دون ذكر صاحب التحرير. الرابط: <http://islamport.com/k/mjl/6408/26982.htm>

عبد المجيد النجار. مراجعات في الفكر الإسلامي، د ط. 2008م.

عز الدين الورداني، التعليم في تركستان الشرقية، تركستان، موقع تايمز. الرابط:

محمد إسماعيل، "العقيدة الصحيحة هي الركن الأعظم للهوية الإسلامية"، دروس الشيخ

المكتبة الشاملة الحديثة. الرابط: <https://al-maktaba.org/book/32185/1075#p2>

الموسوعة الشاملة الإلكترونية. الرابط: <http://islamport.com/k/mjl/6408/26982.htm>

يانغ فا مينغ، الالتزام بنهج الإسلام الصيني في الصين، ورقة شاركها في المجلس الصيني الثامن عشر في العاشر من مارس 2018.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية:

1. المراجع باللغة الأم الأويغورية:

تبيين وپيجاڭ، شىنجاڭنىڭ تارىخىنى توغرا شەرھلەيلى. (الوثائق من أرشيف الصين).
خوتەن دىن ئىشلار ئىدارىسى مەخسۇس دىن باشقۇرۇش كومىتېتى قارارى، 9-
ماددىسى، 1996 يىلى. ۋە 1996-يىلى 3- ئاينىڭ 19 – كۈنىدىكى كومپارتىيە 8 نۆۋەتلىك
ئۆمۈمىي يىغىن قارارنامىسى، 3 ماددىسى. (قرارات لجان الشؤون الدينية لولاية خوتن، مادة
9. عام 1996).

سماچىيەن، "تارىخىي خاتىرلەر". تارىختىكى ئوتتۇرا ئاسىياغا دائىر تارىخىي ماتېرىياللار توپلىمى (24). شىنجاڭ ئۇنىۋېرسىتېتى ئىلمىي تەتقىقات باشقارمىسى ئوتتۇرا ئاسىيا تارىخىي ماتېرىياللارنى تەرجىمە ۋە تەتقىق قىلىش گۇرۇپپىسى تەييارلىغان (سما تشىن، المەزكۇرات التارىخىيە).

قوربان ولي، "تۈركىستان، شىنجاڭ، ئۇيغۇرىستان دىگەن ناملار ھەققىدە تەتقىقات". واشىنغون 2017.

ئابدۇشۈكۈر مۇھەممەد، كۇچادىكى مەدرەسەلەر ۋە ئۆلىمالار، ئۇيغۇر دىنى مائارىپىنىڭ ئۆتمۈشى ۋە بۈگۈنى، ئەۋلاد نەشىرىياتى، 2019. (عبد الشكور محمد، المدارس والعلماء المشاهير في مدينة كوتشا)، مۇتمىر "التعليم الأويغور ماضيه وحاضره.

ئابدۇلھەكىم باقىي ئىلتەبىر، شەرقىي تۈركىستان قوللانمىسى، ئىستانبۇل، 1999. ئالمىجان بۇغدا، "شەرقىي تۈركىستان ئىسلام جۇمھۇرىيىتى ۋە ئۇنىڭ ئاساسى قانۇنى، ط1. ئىستانبۇل. (عالمجان بوغدا، جمهورية تركستان الشرقية ودستورها). ئۇيغۇرلاردا ھاماملىق مەدەنىيىتى، (ثقافة الحمام عند الأويغور)، بىلقۇت تورى.

2. المصادر التركية: Türkçe Kaynakçalar

Abdülkerim, ÖZAYDIN, Karahanlılar, TDV İslam ansiklopedisi. <https://islamansiklopedisi.org.tr/karahanlılar>

Adem Yerde, Türklerin İslam Hukukuna Katkıları: Serahsı Örneği. Türk Tarih ve Kültür Araştırmaları-Altaylı, 2015.

Adem Yerde, Türklerin İslam Hukukuna Katkıları: Serahsı Örneği. Türk Tarih ve Kültür Araştırmaları-Altaylı, 2015.

Ahmed TAŞAĞIL, Talas savaşı, TDV İslâm Ansiklopedisi, 39, s501. 2010, İstanbul.

Ahmet Taşağıl. Kaşgar, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2010, İstanbul.

Ali Bardakoğlu. Hanefî Mezhebi, TDV İslâm Ansiklopedisi, 16. cildinde, s 21-27. İstanbul 1997.

Amine TUNA, DOĞO TÜRKİSTANDA ASMİLASYON VE AYRIMCİLİK, İHH, İssamer, (RAPORU). 2011.

Arzu Eylül Yalçinkaya, "İlk Dönem Tasavvuf Klasiklerinde Zühf kavramı Üzerine", Bülent Ecevit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi. C7, s1, Haziran 2020.

Cüneyt GÜNEŞ, Türklerin İslâmlaşma Süreci Kaynaklarına Genel Bir Bakış, Mavi Atlas GŞÜ Edebiyat Fakültesi Dergisi, Bahar 2014, S. 2. S. 102.

<https://www.turkedebiyati.org/kultur-nedir-kultur-hakkinda-kultur-anlami/>

İlteriş KUTLUK, ‘Türk ve İslam Dünyası’nın Doğu’daki Kalesi Doğu Türkistan Düşüyor Mu?’, Türk Yurdu Dergisi, 2009.

İsmail Aka, ‘Timurlular’, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2012.

Keith HITCHINS, ‘KÂŞGAR’, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2002, pp. 7–9.

Kırgız-Türk. Karahamlılar Dönemindeki Fakihler ve onların İdarelerdeki yeri, (الفقهاء في عهد القاراخانيين ومكانتهم في السلطة), Manas Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, İslami Bilimler Anabilim Dalı, İslam Hukuku Bilim Dalı.

Kütük, Şaban. “Ebu’l-Hasen ed-Dîneverî’nin Menâkıbu Ebî Hanîfe Adlı Eserinin Tahkik ve Değerlendirmesi Tahkik İslami İlimler Araştırma ve Neşir Dergisi 3/2 (Aralık/December 2020): 1-110.

Muhammed Bilal Çelik, Yarkend Hanşığının Siyasi Tarihi, (İstanbul: İQ Kültür Sanat Yayıncılık, 2013).

Nebijan Tursun, ‘1878-1881 YİLLİRİDİKİ “İLİ KRİZİSİ” VE UNİÑ AQİVİTİ’, Uluslararası Uygur Araştırmaları Dergisi, 4 (2014), 113–50.

Nur Ahmet Kurban, ‘BUĞRA, Mehmet Emin’, TDV İslâm Ansiklopedisi, 2016.

Sosyolojiye Giriş Ders Özet kitabı. Atatürk Üniversitesi Sosyoloji lisans 2019.

Türk Edebiyatı Sözlülüğü. Kültür: <https://www.turkedebiyati.org/kultur-nedir-kultur-hakkinda-kultur-anlami/>

Zafer Saraç, ‘Bir Nefeste Tarihi Şarki Türkistan’, Kamlançu Dergisi, 1 (2017), 2–5.

3. المراجع الإنجليزية:

Adrian Zenz, “Wash Brains, Cleanse Hearts”: Evidence from Chinese Government Documents about the Nature and Extent of Xinjiang’s Extrajudicial Internment Campaign, November 24, 2019.